مزهر الدليمي

محطة الموت

٨ سنوات في المخابرات العراقية

IMPRIMÉ EN FRANCE PAR I.R.S.A. 94 - ISBN EN COURS - DÉPÔT LÉGAL JANVIER 1993

هذا الكتاب



من مقدمة الدكتور جليل العطية

كتاب (محطة الموت: ٨ سنوات في المخابرات العراقية) شهادة لشاب انخرط في الأجهزة الأمنية المرعبة، سجل فيها ما رأى، وما سمع من وقائع مذهلة ومثيرة تؤكد ان العراق تحكمه سراديب (قصر النهاية) وما جاورها من المعتقلات والسجون!

كشف المؤلف أساليب التعذيب والرعب التي يتبعها جلادو النظام بتفاصيل وجزئيات مذهلة لا تتوفر في المراجع الأخرى الكثيرة التي ألفت أو ترجمت خلال الثلاث سنوات الأخيرة.

وأزاح الستار عن أسرار تصفية عدد من الشخصيات المعروفة أمثال: سعدون غيدان، طارق حمد العبدالله، عبد الجبار الخربيط، عدنان خيرالله، وزير خارجية الجزائر صديق بن يحيى وغيرهم. وكشف أسراراً عن دور النساء في مخابرات النظام وأساليبهن في التصفيات والغدر!.

(محطة الموت): شهادة حيّة ومثيرة.

محطة الموت

٨ سنوات في المخابرات العراقية

بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

كتاب تاريخ

الأهداء

الى روح المغفور لها والدتي :

التي تعلمت منها حبّ الوطن والخير والصفاء والنقاء، وتوفاها الله وأنا في الغربة، فحرمت من المشاركة في تشييع جثمانها الطاهر..

اليها.. والى كل الأمهات العراقيات الصابرات اللائي ينتظرن بزوغ فجر جديد في العراق، ليكحلن أعينهن في معانقة أحبتهن المنفيين والمشردين بسبب النظام الدكتاتوري الغاشم.

مزهر

المقدمة
هذا الكتاب

بقلم الدكتور جليل العطية
عضو اتحاد المؤرخين العرب

كتابة التاريخ مسؤولية لا يضطلع فيها المؤرخ فحسب، بل يشاركه فيها كل الناس على اختلاف طبقاتهم وفئاتهم ومستوياتهم الفكرية والثقافية. وكلما تعددت الشهادات أو المذكرات أو الذكريات أو الرسائل أو الوثائق كلما سهلت مهمة المؤرخين.

لقد تعالت في العقدين المنصرمين صيحات في بغداد ـ وغيرها ـ تدعو الى:

ـ إعادة كتابة التاريخ !

وقد يكون في (الاعادة افادة كما يقال)، لو كان الأمر يتوقف على دراسة تواريخ العصور الغابرة للافادة منها واستخلاص الدروس والعبر بعد تقويمها.

غير ان ما تمّ في عراق اليوم ـ بلد الشعارات ـ تحت لافتة (إعادة كتابة التاريخ) هو تشويه ومسخ وتأجيج للاحقاد العنصرية والطائفية والاقليمية، وتخطت العراق لتسيء الى شعوب وأمم لها اسهامها الفعال في الحضارة الاسلامية والتراث الانساني.

وكل هذا يتم باسم القومية العربية والعروبة!

لقد اعتبر صدام حسين ان التاريخ بدأ يوم مولده! وتأصل يوم:

ـ تسلل الى (الكرسي الأول) في كرادة مريم ببغداد.

فحاول إلغاء منجزات كل من سبقه، ليس في العراق فحسب، بل في الوطن العربي كله! وصادف ان تسلّمه السلطة رافقه ارتفاع أسعار النفط. وكان قد منع نظامه من

نشر (ميزانية الدولة). منذ سنة ١٩٧٨ والحجة: الأمن القومي!

كرّس رئيس النظام العراقي كل ثروات العراق لشخصه، ليحول بلاد الرافدين - الى ثكنة عسكرية وترسانة سلاح لحروبه ومغامراته، ولانشاء قصور ويخوت له ولأسرته ورصد جزءاً ضخماً من الموارد للدعاية وتمجيد شخصه وحروبه، ولشراء الضمائر والذمم والأقلام، اضافة الى ايداع جزء مهم من هذه الأرصدة في حسابه الشخصي السري في مصارف سويسرا واليابان وغيرها!

اهدرت أموال طائلة على اعادة طبع الملايين من الكتب الدراسية لمجرد تثبيت صورة شخصية لصدام واجراء حذف وتغيير لحقائق تاريخية وجغرافية لأغراض عنصرية وطائفية! وكرّست وزارة ثقافة النظام كل طاقاتها لتمجيده فغابت الثقافة الحقيقية، وحلّ عوضها ما أطلق عليه اسم:

أدب قادسية صدام!

هذه النتاجات لا صلة لها بالأدب أو الأبداع الفني!

فلقد تراجعت الثقافة الحقيقية في الحقبة الصدامية بشكل مخيف، بعد ان صفيّ المبدعون الحقيقيون، وآثر البعض الآخر الاعتزال والاعتكاف، وسعيد الحظ منهم من وجد فرصة له ليرحل عن وطنه الى:

- أرض الله الواسعة!

وقع بين يديّ مصادفة واتفاقاً، فهرس: اصدارات الكتب لعام ١٩٨٣ - وقد صدر في العام اللاحق عن (دائرة الشؤون الثقافية والنشر) من اعداد: افنان غالب محمد وبعد ان تصفحته تبين لي:

ان مجموع ما صدر طيلة ذلك العام كان مجموعه: ٨٢ كتاباً فقط!

من بين هذا الرقم الهزيل - لبلد عريق كالعراق - كان ٥٥ كتاباً منها مخصصة لتمجيد (القادسية الثانية) ما بين رواية ودراسة وديوان شعر!

وهذا يعني ان حصة الشعب العراقي بملايينه السبعة عشر كانت ٢٧ كتاباً فقط!

أوضح الكراس الرسمي ان مجموع النسخ المطبوعة الصادرة سنة ١٩٨٣ بلغ ٤٥٧ ألف نسخة.

الا نلاحظ كيف أهدر الورق والعملات الصعبة على كتب هزيلة تكدست في مخازن الوزارة العتيدة؟

سأسليكم بذكر نماذج من عنوانات كتب ١٩٨٣:

- السياسة والدين في العراق في ضوء مقولة.. صدام حسين!

- صدام وقادسية صدام: ديوان شعر.!

- الأمن الجماعي العربي (طبع منه (١٠) آلاف نسخة كما يقول الكراس وذكر ان المؤلف: سبعاوي ابراهيم الحسن..

وهذا الشخص - وهو أخ نصف شقيق لرئيس النظام - شبه أمي، ولم يذكر الكراس الصحفي أو الكاتب الذي ألّفه له!

ولا بد من الايماء الى ان (الأمن الجماعي العربي) قد مزقه النظام وخاصة في فجر ٢ آب/ اغسطس ١٩٩٠ عندما احتل شقيقته وجارته الجنوبية الكويت، ونهبها واستباحها وأدخل الأمة العربية في:

نفق مظلم له بداية ولم تتوضح نهايته لحد اللحظة!

نعود الى موضوعنا فأقول:

اننا بحاجة الى تسجيل احداث العراق في ظل هذه الفترة، وهذا لا يتم إلّا بمساهمة فعالة من قِبل الذين عايشوا تلك الحقبة وعملوا في قلب النظام فلشهاداتهم قيمة وأهمية ستقدرها الأجيال اللاحقة.

من هنا رحبت باقدام السيد مزهر ناجي عفات الدليمي على تأليف كتاب يسجل فيه ذكرياته، ومزهر ضابط سابق عمل في الأجهزة الأمنية ثماني سنوات ثم وفق في الهرب أواخر سنة ١٩٩٠م الى أوروبا اثناء الغزو المشؤوم للجارة (الكويت)، واشتهر عندما قدمته أجهزة الاعلام الغربية بصفته (المرافق الشخصي لصدام) وقدّم باسم مستعار هو: النقيب (الكابتن) كريم.

وبعد ان تعرفت اليه اعترف لي ان هذه الأجهزة (استثمرته) سياسياً، وصدقني انه كان: ضابطاً في الحرس الجمهوري الخاص وليس مرافقاً شخصياً لصدام كما قيل في حينه.

كتاب (محطة الموت: ٨ سنوات في المخابرات العراقية) شهادة لشاب انخرط في الأجهزة الأمنية المرعبة، سجل فيها ما رأى. وما سمع من وقائع مذهلة ومثيرة تؤكد ان العراق تحكمه سراديب (قصر النهاية) وما جاورها من المعتقلات والسجون!

كشف المؤلف أساليب التعذيب والرعب التي يتبعها جلادو النظام بتفاصيل وجزئيات مذهلة لا تتوفر في المراجع الأخرى الكثيرة التي ألّفت أو ترجمت خلال

الثلاث سنوات الأخيرة.

وأزاح الستار عن أسرار تصفية عدد من الشخصيات المعروفة أمثال:

سعدون غيدان، طارق حمد العبدالله، عبد الجبار الخربيط، عدنان خيرالله وغيرهم. وكشف أسراراً عن دور النساء في مخابرات النظام وأساليبهن في التصفيات والغدر! وأكد في كتابه:

ان هناك عناصر معادية ومعارضة للنظام الفاشي موجودة حتى داخل أجهزة المخابرات والحماية والقصر الجمهوري وغيرها.

هذه النقطة تتطلب: ـ الدراسة والتأمل.

(محطة الموت) شهادة حيّة ومثيرة لعلها تشجع آخرين من أمثال المؤلف على تقديم شهاداتهم ومعلوماتهم لتكون مادة وثائقية لكتابة تاريخ العراق المعاصر بشكل موضوعي.

مقدمة المؤلف

محطة الموت: لماذا؟ وكيف؟

الصدفة هي التي جعلتني أدخل عداد المؤلفين والكتّاب، والفضل في ذلك يعود الى عدد من أصدقائي العراقيين والعرب.

اسمي الكامل: مزهر ناجي عفات الدليمي.

انتسب الى أسرة معروفة اجتماعياً، فوالدي أحد شيوخ عشيرة (البوخلف الجحيش). ولدت في العام ١٩٥٩ في مدينة الرمادي.

وعندما قام انقلاب ١٧ تموز/ يوليو ١٩٦٨ كنت لا أزال طفلاً. فلقد كنت في المرحلة الابتدائية! وبعد ذلك وعيت ان النظام شرع في السبعينات في تجنيد ابناء العشائر وفقاً لتقسيمه الطائفي فاختار قبائل معينة من محافظات صلاح الدين/ تكريت/ الانبار/ الموصل..

في العام ١٩٧٦ تم تجنيدي للعمل في جهاز مخابرات النظام ضمن مجموعة من طلبة اعدادية الرمادي..

كانت أسباب الموافقة متعددة، غير ان السبب الأساسي كان الهرب من اداء الخدمة العسكرية..

كان النظام قد بدأ يركز على المؤسسة العسكرية والقوات المسلحة بشكل مكثف.

وقد قيل لنا ان من يخدم خمس سنوات في المخابرات فان خدمته هذه ستكون معادلة للخدمة العسكرية الالزامية.

كان قسم من الطلبة فقراء، وأهلهم بحاجة الى توظفهم الآني لهذا الغرض، غير ان هؤلاء كانوا قلة.

هناك البعض ممن كانت لديهم طموحات سياسية أو وظيفية.

فور موافقتنا على العمل في جهاز مخابرات النظام انتظمنا في دورة أعدتها: ـ رئاسة المخابرات العامة.

يومها كنت طالباً (في الصف الخامس العلمي)، كانت الدورة في بغداد حيث يقع مقر الرئاسة ـ كما هو معروف ـ فنقلت دراستي الى القسم المسائي في مدينتي ـ الرمادي.
هكذا كنت اتنقل بين بغداد والرمادي..

بعد ثلاثة أشهر من التحاقي، اتممت الدورة المخابراتية، عندها صدر أمر يقضي بتعييني موظفاً في:

ـ القلم السري لشعبة الاغتيالات.

وهذه الشعبة تعتبر من أهم دوائر المخابرات، كما سأبين فيما بعد، بعدها نقلت الى:
ـ قسم الخدمة السرية..

وأتاح لي هذا القسم اكمال دراستي الاعدادية فنلت الثانوية العامة (الباكلوريا) ـ الفرع العلمي سنة ٧٩ ـ ١٩٨٠. والسبب ان هـذا القسم يتطلب التحرك خارج الجهاز.

في العام ١٩٨٠ تم نقلي الى ـ شعبة مكافحة التجسس. كان يرأس هذه الشعبة الحساسة: ـ سبعاوي ابراهيم التكريتي. وهو أخ صدام من أمه.

في العام نفسه أوفدت الى الهند وبقيت في ذلك البلد الشرقي الجميل ثلاثة أشهر.
بعد ذلك أوفدت الى فرنسا حيث قضيت فيها أربعة أشهر.

في العام ١٩٨١ تم نقلي الى (المحطة) أي قسم مخابرات النظام في باريس وضمن: ـ العمل السري!

أعدت لي (المحطة) وثائق تثبت انني طالب! كانت الدراسة غطاء وستاراً!
وهي واحدة من أساليب جهاز المخابرات في العمل خارج العراق.

في العام ١٩٨٣ نقلت الى بغداد، وفي هذه المرة اختيرت لي شعبة جديدة هي: ـ شعبة الطلبة! الشعبة تعرف بـ: (م٥) حرف الميم يرمز الى كلمة: مكتب!

وقُسّمت (المحطة) الأخطبوطية الى شعب منحت كل شعبة رقماً معيناً، وسأتناول فيما بعد تفاصيل هذه المكاتب بالتحديد.

تم ترتيب نقل دراستي الى: كلية الهندسة المعمارية بجامعة بغداد.

في العام ١٩٨٥ طلب جهاز الأمن الخاص التابع للنظام ضبـاطاً من المخـابرات لدخول الكلية العسكرية الثالثة. هذه الكلية تقع في حي العامرية..

لا بد هنا ان أذكر بان اسم (العامرية) ارتبط بقصف قوى التحالف للملجأ الواقع فيه خلال ما سماه النظام بـ: ـ أم المعارك!

تم ترشيحي من قبل (المحطة) وخلال: ـ سنة دراسية واحدة تخرجت منها برتبة: ـ ملازم..

وقد نسبت الى الفوج الأول للحرس الجمهوري الخـاص.. بعد ذلـك شغلت منصب: ـ ضابط في القصر الجمهوري. كانت مهمتي في (سرية التشريفات) بعد ذلك انتميت الى: الفوج الثامن.. وهذا الفوج خاص بحماية الوزراء.

كانت آخر وظيفة لي قبل هروبي من العراق في العام ١٩٩٠ العودة الى: الفـوج الأول في الحرس الجمهوري الخاص بصدام حسين..

والآن أجيب على سؤال هو: لماذا تركت المخابرات؟

ذكرت انني انخرطت في جهاز الرعب وأنا طالب لا تجربة ولا ممارسة لي في الشؤون العامة، وبعد ان تقدمت في السن ونضجت بدأت أعي ما يجري!

كانت (القادسية) واحدة من أكبر الكوارث التي لحقت بالشعب العراقي! فلقـد ذهب فيها ما لا يقل عن نصف مليون انسان ضحايا.

وفي الوقت الذي كان العراقيون فيه يساقون الى سـاحات المـوت العبثي، كانت الأجهزة تتولى اضطهاد وتصفية الباقين ممن لم يأتهم: ـ دور الموت بعد!

ليس كل الموجودين في جهاز المخابرات وبقية الأجهزة الأمنية يؤمنون بسياسة النظام الاستبدادية القمعية!

كنا نختلس الأوقات ـ نحن مجموعة من ضباط المخابرات للتداول فيما جرى ويجري وكنا ـ على مقدار طاقتنا ـ نعمل من أجل انقاذ العراق من طاغيته صدام، وفعلاً كدنا نفعل ذلك في عملية جريئة قادها وضاح الشيخ ولم توفق، وهذا ما بينته في فصل خاص من الكتاب ليس كل من يعمل في (محطة الرعب) هو مجرم أو قاتل!

هناك شباب وطنيون نظيفون اضطروا للعمل في هذه الأجهزة الدموية. كنا على تماس تام مع الجرائم البشعة التي ترتكب، ولم يكن بامكاننا ان نفعل شيئاً لايقاف: ـ دولاب الموت!

وعندما قام الدكتاتور صدام بغزوه للشقيقة الكويت، دخل العراق في: ـ نفق مظلم طويل!

وتم استباحه الكويت وهدمها ونهب خيراتها وتشريد شعبها في أبشع جريمة ترتكب

في القرن العشرين!

وتمت تلك الجريمة ـ جريمة الغزو ـ تحت شعارات (وطنية) و(قومية) كاذبة منها: ـ اعادة (الفرع) الى (الأصل) وما شابه!

وارتبك الوضع داخل العراق بشكل مأساوي فقررت ترك العراق، والحمدلله انني وفقت في تهريب بعض الوثائق التي أمكنني الحصول عليها. وبعد ان ظهرت على شاشات التلفزيون وعقدت معي عدة مقابلات صحفية طالبني الكثير من الأصدقاء ان أقدم شهادتي وتجربتي في كتاب يكون وثيقة للمستقبل.

ولما كنت لا أملك تجربة بممارسة الكتابة، فلقد استعنت بعدد من الأصدقاء، لمراجعة الكتاب وتصحيح لغته بشكل سليم.

وهنا أود أن أقدم شكري لكل من اعانني على تأليف الكتاب.

وأود أن أحيي هنا الدكتور جليل العطية الكاتب والمؤرخ والسياسي، والذي منحني الكثير من وقته الثمين في مراجعة أصول هذا الكتاب وأبدى ملاحظات قيمة أخذتها بنظر الاعتبار وتكرم بكتابة مقدمة رصينة بأسلوبه المعروف، في الصحافة العربية.

فليتقبل مني (الدكتور أبو محمد) خالص الامتنان والشكر.

وأخيراً: هذا كتابي، اتحمل مسؤولية المعلومات والآراء والوثائق الواردة فيه، ولا يسعني الا ان أردد الآية الكريمة:

[ربنا لا تؤاخذنا ان نسينا أو أخطأنا]

والله من وراء القصد.

المؤلف ـ باريس ـ أواخر اكتوبر/تشرين الأول ١٩٩٢

العراق:
جذور العنف بدأت مبكرة!

الانقلابات توالت وكاد الشعب ان ينقرض!!

الأحزاب السرية بدأت تحت ظل الاحتلال البريطاني!

كيف حولت «الثورة البيضاء» العراق الى حمام دم؟!!

كان يقال: العراق عين الدنيا.

قال المؤرخ الخطيب البغدادي:

لم يكن لبغداد في الدنيا نظير في جلالة قدرها، وفخامة أمرها، وكثرة علمائها وأعلامها، وتميّز خواصها وعوامها، وعظم أقطارها، وسعة أطوارها، وكثرة دورها، ومنازلها ودروبها وشوارعها ومحالها وأسواقها وأشكالها وأزقتها ومساجدها وحماماتها وطرقها وخاناتها، وطيب عذوبة مائها، وبرد ظلالها، وأفنائها واعتدال صيفها وشتائها، وصحة ربيعها وخريفها وزيادة ما حصر من سكانها» وتحدث غوستاف لوبون عن دور بغداد وقرطبة في الحضارة العربية والانسانية، فقال:

دور الخلافة في بغداد بآسية ودورها في قرطبة باسبانيا أنضر أدوار الحكم العربي، ولما استقلت تانك الدولتان بسرعة، وفصلت بينها مساوق عظيمة، كان لهما أصل

واحد، ودين واحد، ولغة واحدة، تقدمتا تقدماً متوازياً عدّة قرون، وكانت المدينتان الكبيرتان، بغداد وقرطبة، وهما القاعدتان اللتان كان السلطان فيهما لـلاسلام، من مراكز الحضارة التي اضاءت العالم بنورها الوهاج أيام كانت أوروبا غارقة في دياجير الهمجية.

تلك كانت بغداد منذ تأسيسها على يد الخليفة أبي جعفر المنصور سنة ١٤٥ هـ/ ٧٦٢ م.

فهي مدينة مدورة، وهي بيت الاله الشمس.

وهي: دار السلام: بلد العافية والمحبة وكل ما هو ضد الحرب والفتن. وهي: الزوراء تكون بين الماء، زمن الخصب والحياة. وهي موطن العلم والعلماء والشعر والشعراء.

غير ان هذا لا يعني ان العراق عامة وبغداد بشكل خاص لم تتعرض لهزات ونكبات في تاريخها الطويل.

فلقد تعاقب على حكم العراق خلفاء وحكام اختلفوا قوة وضعفاً وشخصية، على الرغم من ذلك استمر العطاء الثقافي والفكري.

ولا يمكن إهمال الاشارة الى الصراع المذهبي الذي تجلّى في ظلّ الصراع على السلطة والذي اتسم بالعنف، حتى ان معظم الخلفاء العباسيين في العصر العباسي المتأخر قضوا بين قتيل أو مسموم أو مسمول العين..

ولعب غير العرب أدواراً سياسية مؤثرة، ويكفي ان نشير الى ما حلّ بالبرامكة على يد هارون الرشيد، وابعاد تلك «التصفيات».

جذور الاستبداد

ان دارس نفسية الفرد العراقي اليوم يجد بقايا تأثيرات تلك الفترة التي اتسمت بالقلق والاضطرابات والحروب..

ففي تلك الفترة التي استغرقت أكثر من ستة قرون تأسست قيم فكرية سداها العنف ولحمتها الاستبداد الاجتماعي وأضحت نظريات الفقهاء أقرب الى السياسة منها الى أساس الدين الاسلامي وروحه السمحاء..

وزاد في الطين بلة ان العصر العباسي المتأخر أصبح من الضعف الى درجة انه لم يستطع الحفاظ على المنجزات الحضارية في ميادين العلوم والفنون والاقتصاد وغيرها والتي أحدثها الاسلام واصلّتها الأنظمة اللاحقة أيام عزّ العرب!

كل هذا مهد السبيل أمام هولاكو المغولي ليحتل بغداد في (٦٥٦هـ/ ١٢٥٨م) ويستبيح دار السلام ومفخرة الاسلام، فقتل المستعصم بالله آخر خلفاء بني العباس، وبذلك انهارت الدولة العباسية، تلك الدولة التي هزت العالم وبهرته بانجازاتها الفكرية والحضارية.

الليل الطويل

كان غزو التتار لبغداد بداية لدخول العراق في ليل طويل دامس، عاش فيه في ظل العديد من الدويلات التي نشأت هنا وهناك، ووجد بعض الأعاجم - من غير العرب - طريقاً للاستيلاء على مقاطعات واسعة منه.

وعاش العراق ثلاثة قرون مظلمة من (١٢٥٨ - ١٥١٨م) تحت ظل دويلات مشرذمة.

كان صراع هذه الدويلات مريراً، لاأخلاقياً، حيث كان يتركز على امتلاك وسائل الحرب من قلاع وقوى بشرية، ختم بالحكم الصفوي الفارسي في العراق.

وسرعان ما ظهر بنو عثمان (١٥٣٤م) لينـدفعوا بعنف لفرض سيطرتهم كقوة عظمى..

وراح العراق ضحية للصراع الفارسي - العثماني، كان من نتائجه فقدان الأمن والاستقرار وعدم القوت عند الناس، وأخيراً أضحى العراق جزءاً من الامبراطورية العثمانية، وأداره المماليك باسم السلطان العثماني!

وعلى الرغم من ان الامبراطورية كانت اسلامية، الا ان ولاة العراق اهملوا هذا البلد العريق فنقص عدد السكان بسبب كوارث الأوبئة والفيضانات والحرائق والفتن.

وقارىء كتاب (تاريخ العراق بين احتلالين) للمؤرخ عباس العزاوي المحامي يدهش للأوضاع المزرية التي عاشها العراقيون في العهد العثماني! فلقد:

- أصبح عدد سكان بغداد يتراوح بين ٥٠ - ١٠٠ ألف نسمة!

- بينما لا يتجاوز عدد سكان البصرة والموصل والحلة عن ٥٠ ألف نسمة في القرن الثامن عشر!

تأخرت الصناعة وتراجعت الزراعة وانعدم الأمن وعمّ الشلل التجارة، وانتشر الفساد الاداري كالرشوة وما اليها، حتى أضحت:

- (ولاية بغداد) تباع بالمزاد لمن يدفع أكثر من كبار رجال الدولة العثمانيين!!

وشغلت الدولة العثمانية في صراعها الدامي مع الصفويين ومع المماليك، وأخيراً مع بريطانيا العظمى التي برزت أواخر القرن التاسع عشر كقوة كبرى يحسب لها ألف حساب!

لقد مرّ العراق في القرون الماضية بفترات قاسية، غير انه قاوم وصمد أمام كل الكوارث الطبيعية والبشرية لأنه شعب أصيل، عريق، ضارب الجذور في الحضارة الانسانية.

مطامع الانجليز

كانت بريطانيا قد طمعت في احتلال العراق والسيطرة على خيراته لما له من أهمية استراتيجية وموقع جغرافي متميّز، فهو بالاضافة الى كونه طريق الهند، كان يعوم على بحيرة نفط تمتد الى ايران شرقاً والى الخليج العربي جنوباً.

وخطط الانجليز لانتزاع العراق من (الرجل المريض) [الدولة العثمانية] بأشكال مختلفة بينها الاعتماد على التجار وعلماء الآثار والمبشّرين والمستشرقين والرحالة، وذلك اعتباراً من القرن السابع عشر الميلادي.

ففي العام ١٦٤٣م تأسس فرع لشركة الهند الشرقية البريطانية في البصرة، وقد منح وكيلها صفة القنصل السياسي، ثم تأسست شركة (بيت لنج) وهي شركة ملاحية تسيّر السفن التجارية في نهري دجلة والفرات وتقوم بانشاء خطوط البرق والبريد والموانىء والمنشآت الخ.. وكانت بريطانيا تواجه تحديات النفوذ الروسي الذي كان يسعى هو الآخر للسيطرة على المنطقة.

ظهور ألمانيا

وفي أواخر القرن التاسع عشر جوبهت بريطانيا بمنافس جديد هو ألمانيا!

فلقد دخلت ألمانيا حلبة المنافسة من خلال مشروع سكة حديد بغداد - البصرة، وكان العثمانيون يدعمون المشروع، غير ان بريطانيا سعت بكل أمكاناتها لاحباط المشروع أولاً، والى عقد اتفاقات حماية وصداقة مع أقطار الخليج.

ووجدت بريطانيا في اندلاع الحرب العالمية الأولى (١٩١٤ - ١٩١٨م) فرصة ذهبية لاحتلال العراق، فاستغلت وقوف تركيا الى جانب ألمانيا في الحرب، فعمدت الى تنفيذ مخططها بدءاً من: احتلال (الفاو)!

ولم تنفع المقاومة الضئيلة التي قامت بها القوات التركية بمساندة المجاهدين العراقيين بقيادة السيد محمد سعيد الحبوبي - الشاعر المعروف - في صدّ الهجمات البريطانية السريعة، والمدروسة! ولم يجد البريطانيون صعوبة في احتلال البصرة بأسلحتهم الحديثة وجيشهم المدرب.

فلقد مهّد البريطانيون لمثل ذلك اليوم، وساعدتهم الشركات التجارية التي برعوا في مدّ شبكاتها في انحاء العراق!

كانت معركة (الكوت) أول هزيمة تلحق الغزاة البريطانيين (١٧ يناير / كانون الثاني ١٩١٥).

واستمر البريطانيون في مخططهم للوصول الى بغداد!

كانوا يرون ان روسيا أصبحت شبحاً جديداً، اضافة الى خطر تركيا والألمان..

ووفقت بريطانيا في كسب حسين، شريف مكة الى جانبها وجانب الحلفاء بعد ان غمرته بالوعود:

وعود الحرية والكرامة والاستقلال واستعادة امجاد العرب!

وفي العاشر من يناير/كانون الثاني ١٩١٥ تم بشكل سري توقيع اتفاقية: سايكس-بيكو.

وبموجب هذه الاتفاقية التي وقعتها فرنسا وروسيا تم توزيع:

- أسلاب الامبراطورية العثمانية المنهارة!

- كان العراق من حصة بريطانيا..

وعود وآمال

في الحادي عشر من مارس/آذار ١٩١٦ احتل الانجليز بغداد! قاد الحملة الجنرال مود الذي أعلن في بيان الاحتلال ما يلي:

(اننا لم ندخل بلادكم اعداء فاتحين انما دخلناها محررين، وان أهل العراق حاق بهم ظلم كثير منذ أيام هولاكو الى أيام الحكم التركي، وأن أمنية حكومة صاحب الجلالة والحكومات المتحالفة معها هي ان تراكم في أرضكم زارعين لها، لتعيدوا مجدكم أيام كانت بلادكم خصبة بالخيرات، وكان العالم ينهل من آداب أجدادكم وعلومكم يوم كانت بغداد احدى عجائب الدنيا).

كان بيان (مود) قد صيغ بشكل عاطفي، فهو يفجر في العراقيين ذكريات ماضٍ مشرق هشمته الأحداث والحكام الدخلاء الذين داسوا عليه ونهبوه ومزقوه دون رحمة!

وعلى الرغم من ذلك فقد استقبل بعض العراقيين المحتلين الجدد بالأمل في تحقيق الوعود التي أطلقوها للعرب.

وعندما وصلت القوات البريطانية مدينة الموصل بعد ان واصلت زحفها لاحتلال كامل التراب العراقي سارعت فرنسا لاخبار حليفتها بريطانيا بأن (الموصل) تعدّ ضمن النفوذ الفرنسي بموجب اتفاقية سايكس - بيكو، وان وضع هذه المدينة التاريخية لم يحسم مع تركيا..

رغم هذا احتل البريطانيون مدينة الموصل.

باشر الانجليز ادارة العراق دون خطة واضحة، فكانت هناك عدة اتجاهات لدى مراكز القرار في لندن لادارة ما بين النهرين..

- اتجاه يدعو لتطبيق التجربة الهندية على العراق.

- واتجاه آخر يدعو الى منح العراقيين فرصة لأن يحكموا أنفسهم بأنفسهم بشكل تدريجي.. قطرة قطرة!

باشرت الادارة البريطانية أعمالها بتقديم اغراءات لرؤساء العشائر وعدد من الوجوه الاجتماعية العراقية وذلك باسناد الوظائف لهم، ومنحهم الأراضي وتقديم امتيازات مالية ومصرفية لهم وغير ذلك.

وجاء طرح مشروع ربط جنوب العراق بالادارة البريطانية في الهند، وأبعاد عدد من الزعماء والشخصيات الاجتماعية الذين أبدوا معارضتهم للاحتلال البريطاني، ورغبتهم بعودة العثمانيين، جاء هذا في توقيت غريب وهو: اعلان الرئيس الأمريكي ويلسن نقاطه الأربع عشرة في مؤتمر باريس (١٨ يناير/ كانون الثاني ١٩١٩) والتي طالب فيها بانهاء الحرب العالمية الأولى وفقاً: لمبادىء تقرير المصير للشعوب!

ويلسن أعلن انشاء (عصبة الأمم) التي تحولت لاحقاً الى (منظمة الأمم المتحدة)!

جاءت مبادىء الرئيس الأمريكي لتدغدغ مشاعر العراقيين - وغيرهم - وتمنحهم القوة للمطالبة بـ: الحرية والاستقلال!

كان العراقيون قد استبشروا عندما سمعوا بأن الأمير فيصل بن الحسين أقام حكومة عربية في دمشق (اكتوبر/ تشرين الأول ١٩١٨)!

قيام حكم عربي في سوريا شجع على قيام معارضة للاحتلال البريطاني تجلّت بانشاء جمعيات سرية، ووصلت الأمور الى حدّ تقديم مذكرة الى الحكومة البريطانية تطالب بقيام حكومة وطنية في العراق على غرار شقيقته سوريا..

غير ان الحكومة البريطانية لم تستجب لهذا الطلب المشروع.

وشهدت أزقة بغداد تعليق منشورات تطالب بطرد (المحتلين الكفار) وتحقيق الاستقلال تحمل توقيع جمعيات سرية بينها: الحرس. حرس الاستقلال. العهد. الخ.

انفجار العنف

وهكذا مهدت الادارة البريطانية لقيام انتفاضة اشتهرت باسم: ثورة ١٩٢٠..

كان سقوط حكومة الأمير فيصل في دمشق قد ساعد على انفجار غضب العراقيين..

وكان بيرسي كوكس - المعتمد البريطاني - يعتمد على عدد من شيوخ العشائر يعتبرهم ممثلين للشعب العراقي، دون مراعاة للمستجدات الجديدة التي فجرتها مبادىء ويلسن - الأمريكي من جهة.. واندلاع الثورة البلشفية في روسيا وغير ذلك!

وفي ابريل/نيسان ١٩٢٠ اندلعت الثورة في مدينة (الرميثة) احدى مدن الفرات الأوسط..

واستمرت انتفاضة العراقيين ستة شهور، استخدمت فيها مختلف الأسلحة.

كانت خسائر بريطانيا لا تقل عن (٢٠) مليون جنيه استرليني و٢٢٧٠ قتيلاً وجريحاً ومفقوداً من قواتها . .

أما في الجانب العراقي فيصعب حصر الخسائر!

يقول بعض المؤرخين ان العراقيين خسروا حوالي(١١٠ آلاف قتيل و٥ آلاف جريح) .

أما الدمار الذي حلّ بالعراق في تدمير المنشآت الأساسية كالسكك الحديد وخطوط البريد والبرق والجسور والقناطر والأراضي الزراعية فيصعب حصره .

كانت (ثورة ١٩٢٠) محطة مهمة في تاريخ الشعب العراقي فلقد كانت صيحة ضد الظلم والاستبداد . .

وكان من نتائجها تراجع الحكومة البريطانية عن قرارها في (تهنيد العراق)! فسارعت الادارة البريطانية ممثلة بالمنسز بيل الى تشكيل أول حكومة مؤقتة وطنية برئاسة سليل احدى الأسر البغدادية العريقة هو: عبد الرحمن الكيلاني (نقيب أشراف بغداد) . .

غير انها لم تنس ان يكون لها اليد الطولى في (الحكومة العراقية) الجديدة! فوضعت مستشاراً بريطانياً لكل وزير!!

حتى ان الشيخ محمد باقر الشبيبي ـ شاعر ثورة العشرين ومسؤول إعلامها قال بعد ذلك ساخراً من أحد الوزراء:

المستشار هو الذي شرب الطلا   فعلامَ يا هذا الوزير تعربدُ؟!

والطلا : الخمر !

شجع قيام حكومة (النقيب) على الدعوة الى قيام حكومة ملكية في العراق . . وجرت حروب صغيرة لاختيار الملك الجديد للعراق . . فكان بين المرشحين طالب النقيب، (نقيب اشراف البصرة)، والشيخ خزعل أمير الحمرة، والملك عبدالله بن الحسين عاهل الأردن (لاحقاً) ومن بين المرشحين، أحد وجهاء الأسرة العمرية في الموصل، وآخر من كركوك وثالث من أسرة محمد علي المصرية واستقر الرأي على:

فيصل بن الحسين الذي وصل بغداد في ٢٩ يونيو/ حزيران ١٩٢١، مصحوباً بمجموعة من رجالات العراق الذين توجهوا الى الحجاز لمبايعته ومرافقته في الباخرة التي أقلته الى البصرة.

وفي ٢٢ أغسطس/آب ١٩٢١ توّج فيصل ملكاً على العراق في احتفال حاشد أقيم

في مبنى سراي بغداد (القشلة) ورفع العلم الجديد وأقسم الملك الجديد على المحافظة على العراق والحكم بالدستور واحترام الحريات العامة .

واستمرت الملكية في العراق سبعة وثلاثين عاماً دون ان تتمكن من تحقيق تقدم اجتماعي يوازي التقدم الذي أحرزته الشعوب الأخرى في هذه الفترة!

رغم هذا كانت للنظام الملكي مزايا منها سيادة الاستقرار النسبي وقيام نهضة عمرانية وادارية واقتصادية لا بأس بها وفي أخريات العهد الملكي تأسست معاهد تربوية وأسست جامعة بغداد، وتقلصت نسبة الأمية الى ٤٧ في المائة عوضاً من ٩٦ في المائة . .

وفي فترات لا بأس بها قام برلمان واحزاب وصحافة حرة نسبياً، ولكنها لم تكن بالمستوى المقبول وتعرضت لمضايقات وزيفت الانتخابات في فترات عديدة.

وفي ٦ يناير/كانون الثاني ١٩٢٤ أعلن عن تأسيس نواة الجيش العراقي، وبعد ذلك بقليل أعلن الدستور وجرى اهتمام بانشاء مؤسسات صناعية وزراعية وانشاء وسائل الري واصلاح الري وتوفير الخدمات الصحية.

ظلت العلاقات بين العراق وبريطانيا غير مستقرة، فلقد كان فيصل الأول يطمح بالاستقلال التام وعقدت بين الطرفين معاهدات غير متكافئة حتى ان الملك فيصل صرح اثر توقيع معاهدة ٣٠ أبريل/ نيسان ١٩٢٢ (بأنها ليست المعاهدة التي وعدني بها تشرشل)!

استمرت محاولات فيصل لتحقيق الاستقلال عن بريطانيا فكانت معاهدة ١٩٣٠ إلاّ أنها جاءت دون طموح العراقيين.

فلقد نصت على منح بريطانيا قواعد وامتيازات عسكرية، وأشراف على القوات المسلحة . . أما النقطة الايجابية لهذه المعاهدة فتلخصت بدعم ترشيح العراق لدخول عصبة الأمم المتحدة.

ان دراسة الوجود البريطاني في العراق تؤكد بأن بريطانيا لم تحرص على تحقيق تقدم اجتماعي في العراق، فلقد اختارت دعم رؤساء العشائر وتشجيع الحكومات العراقية على تزييف الحياة البريطانية ومنع الصحف الحرة من الظهور، وخلافاً لفرنسا لم يعتن البريطانيون بالمدارس أو المعاهدات أو الجامعات أو الشؤون الثقافية!

كان النفط والتسهيلات العسكرية همهم الأساسي!

وفي اكتوبر/تشرين الأول ١٩٣٢ دخل العراق (عصبة الأمم) وكان أول قطر عربي

يدخل المنظمة الدولية واستطاع بعد جهود مضنية حل مشكلة الموصل التي طالبت بها تركيا بابقائها جزءاً أساسياً من الكيان العراقي.

التجربة الحزبية

وخاض العراق تجربة سياسية جديدة عندما اتاح للأحزاب حرية العمل، فتأسست ثلاث أحزاب هي:

١ ـ الوطني العراقي.

٢ ـ النهضة.

٣ ـ الحزب الحرّ العراقي.

كان الأولان معارضان والثالث يدعم بريطانيا، وكانت أحزاب المعارضة امتداد للجمعيات السرية التي قامت اثناء الاحتلال البريطاني، ولم تتحمل الادارة البريطانية وجود معارضة فأغلقتها وعطلت صحفها..

ومرة أخرى عاد النشاط السري يعمل بهمّة على طريقة: (مكره أخاك لا بطل)!!.

وفي سنة ١٩٢٤ تشكلّت أحزاب جديدة بينها:

- الأمة.
- الاستقلال.
- جمعية الدفاع الوطني.
- التقدم.
- الشعب.
- العهد.

وفي الأربعينات برزت أحزاب أخرى بينها:

- الوطني الديمقراطي.
- الأخاء.
- الشعب.
- الاستقلال.

وفي الخمسينات برزت أحزاب سرية بينها:

- الشيوعي.
- الديمقراطي الكردستاني.
- البعث.

إلاّ ان كل هذه الأحزاب ـ وعلى الرغم من تنوّعها ـ لم تعبر عن تقدم اجتماعي جذري. بالنظر لعدم ايمان السلطة بالديمقراطية الحقيقية، وعدم وجود برلمان حقيقي وصحافة حرة ففي الممارسة يمكن ان تتطور الأحزاب والحركات السياسية.. وفيما عدا ذلك تبقى مجرد أدوات وأرقام. لكن وجودها كان له مدلوله، فلقد أوجدت حالة جديدة، وأملاً لدى العراقيين..

وفي هذه الفترة أصبح العراق له ثقله في الوطن العربي ويمكن ان نؤكد ان فترة الملك فيصل الأول (٢١ ـ ١٩٣٢) كانت فترة ارساء أسس العراق الحديث.. ولو تهيأ له ان يبقى فترة أخرى لقطع العراق شوطاً أبعد في مضمار البناء والتقدم الاجتماعي.

أما فترة الملك غازي (٣٣ ـ ١٩٣٩) فكانت مضطربة، فلقد كان شاباً مراهقاً، قليل التجربة، محاطاً بحاشية دفعته الى أشياء ضد مصلحة العراق وقامت في أيامه انتفاضات وحركات قمعت بوحشية.

فاتحة الإنقلابات

وجاء انقلاب بكر صدقي (١٩٣٦) ليدخل العراق والوطن العربي في دوامة الانقلابات وفي زجّ العسكريين في الشؤون السياسية، وراحت العشائر تتحرك..

وتوفي الملك غازي في ظرف غامض قيل انه مدبر، فرقي العرش فيصل الثاني وهو طفل. وكلف خاله عبدالاله بن علي بوصاية العرش.

في هذه الفترة كان الوعي القومي والوطني قد تعمقا ورفعت في شوارع بغداد شعارات تنادي بالعروبة والوحدة والاستقلال التام.

وفي ١٩٣٩ انفجرت الحرب العالمية الثانية، ووقف العراق الى جانب الحلفاء بعد ان قطع صلاته بألمانيا.

وفي هذه الاثناء كان الجيش العراقي قد تنامى وشجعه بكر صدقي على لعب دور أكبر ونتيجة ذلك تحول الى قوة ضاغطة..

وما ان ألّف رشيد عالي الكيلاني وزارته حتى بدأ يناقش البريطانيين بأمور أبعد من بغداد!

طرح الكيلاني المشكلة الفلسطينية وعمل على وقوف العراق على الحياد في الحرب التي كانت تدور رحاها بين الحلفاء ودول المحور!

وراح الكيلاني يجري اتصالات سرية مع الألمان ودول المحور.. ولم تكن هذه الاتصالات تخفى على مخابرات الحلفاء!

وفي الوقت نفسه التف كبار قادة الجيش من القوميين حول الكيلاني وأمين الحسيني - مفتي فلسطين الذي كان يعيش في بغداد..

أثمرت اتصالات الكيلاني بالألمان أصدار وعد رسمي منهم بدعم كفاح العرب من أجل الاستقلال من بريطانيا وفرنسا.

وردت بريطانيا فوراً بالضغط على البلاط الملكي لاسقاط حكومة الكيلاني. وهكذا عهد البلاط الى طه الهاشمي - وهو قائد عسكري - بتشكيل الحكومة.

ولم يكتف الانجليز باقصاء الكيلاني وتعيين الهاشمي بل أوعز بأبعاد قادة الجيش الأربعة وهم: صلاح الدين الصباغ ومجموعته!

كان يطلق على هؤلاء اسم: المربع الذهبي!

وقد رفضوا تنفيذ أمر الاقصاء وتحركوا في انقلاب عسكري اسقطوا فيه حكومة الهاشمي واعادوا الكيلاني بالقوة!

فرّ الأمير عبدالاله الى الأردن..

وصدر مرسوم يقضي بتسمية (الشريف شرف) وصياً على العرش.

سارع الألمان لمباركة هذا الانقلاب، وانطلق المذيع المعروف يونس بحري يحيّي الوضع الجديد من اذاعة برلين!

وتحركت بريطانيا لاجهاض هذه الحكومة (الهتلرية المشاكسة)! فرفضت الاعتراف بها ورأت في تحرك الجيش العراقي خطراً يهدد أمنها القومي.

وباشرت القوات البريطانية الحرب ضد الانقلابيين، فدارت معارك في الحبانية (غرب العراق).

وردت حكومة الكيلاني بقطع العلاقات مع لندن والغاء المعاهدة البريطانية - العراقية واعادة العلاقات السياسية مع ألمانيا.

وبعد قتال دام عدة أسابيع، كان ميزان القتال فيه لصالح بريطانيا، استعاد الانجليز سيطرتهم على العراق..!

- عاد الوصي عبدالاله الى عرشه..

- وشكل نوري السعيد حكومة جديدة..

- وفتحت معتقلات العمارة والجنوب لتستقبل المئات من مؤيدي حركة الكيلاني.

- واعدم العقيد صلاح الدين الصباغ ورفاقه بعد محاكمة شكلية، وتركت جثثهم مدلاة على باب وزارة الدفاع في بغداد لبث الرعب في صفوف العراقيين..

ومرّت سنوات الأربعينات بطيئة على العراق..

وعندما حلّ العام ١٩٤٥ تنفس العالم الصعداء بعد هزيمة ألمانيا وحلفائها وانتحار هتلر غير مأسوف عليه!

وحاولت الحكومة العراقية ان توضح انها ترغب فتح صفحة جديدة من حياة العراق والعراقيين فأعلنت: فتح أبواب:

- مجلس النواب - ومجلس الأعيان..

وسمحت لعدد من الأحزاب بالعمل.. واجازت اصدار عدد من الصحف.. غير ان الحياة البرلمانية لم تكن حرة..

فلقد استمرت الحكومة بالتزييف وشراء أصوات الناخبين! وفي ١٩٤٤ شارك العراق في تأسيس جامعة الدول العربية.. كما عقد معاهدات حسن جوار وصداقة مع الدول المجاورة..

وفي ١٩٤٨ وقع العراق وبريطانيا معاهدة جديدة اطلق عليها اسم:

- بورتسمورث..

- نسبة الى المدينة البريطانية التي عقدت فيها المباحثات.. وتم ذلك خلال حكومة صالح جبر.

- نصت المعاهدة على التحالف الدفاعي بين البلدين!

- واستمرار القواعد العسكرية البريطانية مع تحمل العراق نفقات هذه القواعد!!

- كذلك نصت المعاهدة على ان تقدم بغداد تسهيلات للجيوش البريطانية في حالة تواجدها في العراق.

قابل الشعب العراقي هذه المعاهدة بالرفض وجرت تظاهرات واشتباكات قمعت

بالقوة. . وأسفرت التظاهرات عن قتل عدد من المواطنين. وأسفر غضب الشارع العراقي عن الغاء المعاهدة.

استقالت حكومة جبر وتألفت حكومة جديدة عادت للعمل بمعاهدة ١٩٣٠.

ترافق احداث (وثبة كانون الأول/اكتوبر ١٩٤٨) مع التصاعد الخطير للقضية الفلسطينية والتي فجرها صدور قرار هيئة الأمم في ٢٩ نوفمبر/ تشرين الثاني ١٩٤٧ بـ:

- تقسيم فلسطين بين العرب واليهود.

ثم جاء تأميم ايران لنفطها في عهد الدكتور مصدق (١٩٥١) وحرائق القاهرة وتصاعد المد الوطني في مصر ضد الانجليز والذي توج باندلاع ثورة ٢٣ يوليو/ تموز ١٩٥٢ كل هذا عمّق الوعي الوطني والقومي في العراق وزاد في حقد العراقين ضد الانجليز. .

ولم تحاول الحكومة العراقية وحليفتها استيعاب الغليان الذي يجري في الشرق الأوسط والعالم!

كان شخصان يتحكمان في شؤون العراق:

- نوري السعيد، الرجل ذو القبضة الحديدية، والسياسي الداهية.
- والوصي على العرش عبدالاله بن علي. .

كان الوصي مشغولاً بمباذله وسهراته.

فيمكن القول ان (نوري باشا) هو المتحكم الأول والأخير في العراق!

- شكل نوري السعيد الحكومة لمواجهة التحديات الجديدة. .

وأعلن الأحكام العرفية.

- وعطل الأحزاب السياسية والجمعيات. .
- وأغلق الصحف ولم يبق إلاّ على ثلاث أو أربع صحف حكومية.

الحلف الجديد

وفي ٢٤ فبراير/شباط ١٩٥٥ أعلن عن ميلاد:

- حلف بغداد!

ضم الحلف كلاً من: العراق، تركيا، ايران، بريطانيا.

وكانت الولايات المتحدة عضواً مراقباً فيه!

أعلن ان الحلف الجديد قام لصدّ: المد الشيوعي الأحمر!

أما واقع الحال فأنه جاء كرد فعل على قيام ثورة يوليو/ تموز ١٩٥٢ وسقوط النظام الملكي في مصر.

انتهزت الحكومة العراقية ظروف الحلف لتصفية خصومها السياسيين مما أدى الى انتشار العنف والارهاب في المجتمع العراقي. .

وفي الوقت نفسه انتشر العمل السياسي السري!

- وفي هذه الفترة لم يقتصر العمل السري على المدنيين بل شمل: الجيش أيضاً!

وجاء العدوان الثلاثي على مصر (١٩٥٦) ليعمق مشاعر الجماهير العراقية!

وسارعت الحكومة الى حل البرلمان واعلان الأحكام العرفية وساقت الشباب الى معسكرات تدريب في شمال الوطن. ووجدت أحزاب المعارضة أنفسها مضطرة للائتلاف لمجابهة حملات القمع فأسست (جبهة الاتحاد الوطني) والتي ضمّت في صفوفها:

- الاستقلال.
- الوطني الديمقراطي.
- الشعب.
- البعث.
- الشيوعي.

ولم يكتب لهذه (الجبهة) حياة طويلة اذ سرعان ما تلاشت في أواخر ١٩٥٨.

في ١ فبراير/شباط ١٩٥٨ شهد العرب حدثاً تاريخياً فريداً تمثل بقيام: الجمهورية العربية المتحدة. .

قامت تضم كلاً من مصر وسوريا. .

ترأس الرئيس جمال عبد الناصر الدولة الجديدة، بعد ان استقال شكري القوتلي مكتفياً بلقب: المواطن العربي الأول!

وكرد فعل على هذا الاتحاد الذي لقي حماساً كبيراً لدى الشباب العربي قام: الاتحاد العربي. . والذي ضم كلاً من العراق والأردن. .

وعولت بريطانيا على هذا الاتحاد على أمل ان يجذب أقطاراً أخرى . . غير ان هذا الاتحاد لم يكتب له النجاح . .

البيان رقم (١)

وفي الرابع عشر من تموز/يوليو ١٩٥٨ أعلن راديو بغداد سقوط النظام الملكي . . وقيام: الجمهورية العراقية . .

تولى عبد الكريم قاسم وعبدالسلام محمد عارف زمام السلطة نتيجة انقلاب عسكري ساندته قطاعات شعبية ناقمة على الأوضاع السابقة، آملة ان يحقق النظام الجديد: الاستقرار والرفاه والرخاء.

خطا النظام الجمهوري خطوات تهدف الى الابتعاد عن بريطانيا وحلفائها . . فخرج من حلف بغداد ومن النظام النقدي . .

- وأعاد العلاقات مع روسيا والدول السائرة في فلكها . .
- وشرع قانون الاصلاح الزراعي وأعلن عن عزمه اجراء اصلاحات اجتماعية .

ولا يمكن ان ينكر أحد تحقق تقدم في فترة حكم اللواء قاسم التي امتدت من ٥٨ - ١٩٦٣ . .

غير ان انفراده بالسلطة ودكتاتوريته وفتحه أبواب السجون وقمعه خصومه وتصفيتهم ومعالجته القضية الكردية بالعنف وعودة الأحكام العرفية وخرق حقوق الانسان ومحاولة ضم الكويت ومعاداة القاهرة ودمشق وانعدام الحياة البريطانية وفرض الرقابة على الصحف وغير ذلك . .

كل هذا وسواه مسح من الذاكرة مشروعات التنمية والصناعة وتوزيع الأرض والتوسع في التعليم الجامعي والعالي وغير ذلك .

انقلاب أسود

وفي ٨ شباط/فبراير ١٩٦٣ قام انقلاب مضاد، اتسمّ بالدموية والارهاب، وقام البعث العراقي بمجازر لا مثيل لها في التاريخ!

ومن حسن التوفيق ان هذا الانقلاب لم يستغرق أكثر من تسعة أشهر حيث قام انقلاب مضاد له، قاده: عبد السلام محمد عارف!

قام الانقلاب في ١٨ تشرين الثاني/نوفمبر ١٩٦٣، وبعد ذلك دخل العراق في بحر من الانقلابات المضحكة - المبكية!!

لقد سببت هذه الانقلابات خللاً في المجتمع العراقي، وأوجدت حالة من القنوط واليأس لدى المواطن العراقي . .

وكان يمكن ان يلعب النفط الذي يموج به العراق - دوراً في تنمية العراق وتحسين حالة الفرد العراقي، إلاّ أنه لم يجن منه شيئاً!

واكتشفت في العقود الأخرى ثروات طبيعية لا تقل أهمية عن النفط كالفوسفات وغيرها . . غير انه قدر للمواطن العراقي ان يعيش وكأنه لا يملك هذه الثروات!

النظام الباهت

في نيسان/ابريل ١٩٦٦ توفي المشير عبدالسلام عارف في حادث طائرة قرب البصرة، وأشيع في حينه ان الحادث كان مدبراً من قبل بعض الطامعين في: الكرسي الأول!

ومهما يكن من أمر، فإن حكم عارف الذي استمر ثلاث سنوات كان باهتاً! فلم يحقق منجزات يذكر بها!

نعم حدث تأميم للمؤسسات والمصانع في عهده (على الطريقة المصرية)، إلاّ أنه لم يكن مدروساً، بل كان ارتجالياً، مما سبب ارتباكاً في الوضع الاقتصادي. وخلال عهد عارف تنامت سلطة الجيش وظهرت مراكز قوى في قيادته!

وهذا العهد شهد البذور الأولى للنزعة الطائفية والاقليمية والعنصرية، هذه النزعات تنامت بعد ذلك بشكل سبب خراب العراق!

ظلّت الأحزاب تعمل سرّاً، لأن عارف لم يسمح بغير تنظيم واحد هو: الاتحاد الاشتراكي . .

وهو تقليد لمصر الناصرية، وكان الشارع العراقي يرفض مثل هذا التنظيم العجيب!

العرب في مواجهة النكسة

بعد وفاة عبدالسلام عارف استلم اللواء عبدالرحمن محمد عارف السلطة من أخيه.

كان عبدالرحمن يشغل منصب وكيل رئيس أركان الجيش وقد اختاره العسكريون لضعف شخصيته وطيبته في آن واحد!

تميز عهد عارف بالهدوء..

ـ فلقد فتح أبواب السجون والمعتقلات..

ـ وفتح أبواب (القصر الجمهوري) لرجالات البلد يتدارسون كيفية نقل البلاد الى مرحلة متقدمة!

في هذه الفترة أصيب العرب بنكسة يونيو/ حزيران ١٩٦٧ والتي تمخضت عن فقدان الجولان وسيناء وغيرها من الأراضي العربية.. كان العدوان الاسرائيلي قد هز وجدان الشعب العربي!..

وفي ١٧ تموز/يوليو ١٩٦٨ أعلن راديو بغداد: البيان رقم (١).. وذلك للمرة..؟!

لم يعد المواطن العراقي يفرّق بين الانقلابات!

الانقلاب الجديد قام به مجموعة من العسكريين بينهم: أحمد حسن البكر وعبد الرزاق النايف وحردان عبد الغفار التكريتي وابراهيم الداود وسعدون غيدان. ومجموعة من المدنيين بينهم: صدام حسين التكريتي!

البيان رقم (١) أعلن انها: ثورة بيضاء..

والسبب استسلام عبدالرحمن عارف.. بعد ان لاحظ ان عدداً من اركان نظامه كانوا ضمن: الانقلاب الجديد!!

أعلن الانقلابيون تشكيل هيئة اسمها: مجلس قيادة الثورة..

وان هذا المجلس اختار بـ(الاجماع): أحمد حسن البكر رئيساً للجمهورية..

وكلّف البكر: عبدالرزاق النايف بتشكيل الحكومة..

وفي ٣٠ تموز/يوليو ١٩٦٨ أشهر صدام التكريتي المسدس في وجه النايف متهماً أياه بـ: العمالة والخيانة للـ(الثورة والحزب)!!

و(شحنه) في طائرة عسكرية الى خارج العراق وفي مساء اليوم نفسه أعلن عن طرد النايف وتشكيل البكر الحكومة اضافة الى رئاسة الجمهورية.. ومن يومها دخل العراق في نفق طويل لم يخرج منه!

أما التفاصيل المثيرة فستأتي بعد قليل!

أضواء على تاريخ وتشكيلات جهاز مخابرات النظام العراقي:

صدام التكريتي أسس خط (حُنين) العسكري السري تمهيداً لتسلم السلطة!

اسماء الأشخاص الذين تعاقبوا على رئاسة الجهاز..
لماذا تغيّر اسم الجهاز من الرئاسة الى المديرية،

كيف عملت في م/٧ شعبة الاغتيالات،

شعبة النساء.. عالم غريب تديره:
السيدة افتخار أحمد

علياء شاركت بتسهيل عملية قتل زوجها!

الراقصات الفلبينيات يشاركن
في التصفيات الجسدية!

شعبة التجسس تؤسس شركات وهمية في العالم.

جاء في مادة (حُنين) من معجم البلدان لياقوت الحموي ما يلي:

حُنين: يجوز ان يكون تصغير الحنان وهو: الرحمة، تصغير ترخيم. ويجوز ان يكون تصغير الحِنّ، وهو حي من الجن.. ثم أورد آراء أخرى في أصل كلمة (حُنين)..

حنين الاسم السري الذي أطلقه صدام التكريتي على جهاز المخابرات، لدى انشائه في العام ١٩٦٤.

حنين: كان اسم جهاز الطوارىء الصدامي - بكسر الصاد - وقد جهز بالملابس العسكرية والأسلحة المختلفة من مسدسات ورشاشات ورمانات من قبل الحزب الذي استطاع الاستيلاء على السلطة فيما بعد (١٩٦٨) تولى صدام بناء هذا الجهاز السري استعداداً للانقلاب ضد النظام العارفي الضعيف - المسالم.

في تموز/يوليو ١٩٦٤ كشف رشيد محسن مدير الأمن العام خيوط هذا التنظيم العسكري - المخابراتي السري. وتم التوصل الى كشف يضم ١٠٥ من عناصره المهمين..

كان صدام قد قسم بغداد الى أربعة أقسام بموجب ما دعاه بـ: خطة الطوارىء. وأوكل كل منطقة الى أحد مساعديه.. ثم تطور هذا الجهاز بشكل مذهل!

(جهاز حنين) لعب دوراً في انقلاب تموز/ يوليو ١٩٦٨ وبعد النجاح الذي تم بفضل (التحالف) مع عبد الرزاق النايف وسعدون غيدان وابراهيم الداود - كما هو معروف، استمر صدام حسين يعمل للسيطرة التامة على العراق، كل العراق..

وقسم أوقاته للعمل بين:

١ - القصر الجمهوري لتوجيه اللواء أحمد حسن البكر (رئيس الجمهورية).

٢ - قصر النهاية: والمعروف ان هذا القصر كان يدعى (قصر الرحاب) وقد شهد النهاية المأساوية للأسرة الملكية التي حكمت العراق أقل من أربعة عقود. وسمّي قصر النهاية لأنه شهد نهايتها..

صدام اتخذ هذا القصر مقراً للجهاز الجديد الذي بناه مطوراً به (جهاز حنين)..

أطلق على الجهاز أولاً اسم: العلاقات العامة.. وعندما هيمن على مقدرات العراق سماه: جهاز المخابرات..

٣ - الحزب الحاكم: لتصفيته وجعله مجرد (دائرة) تابعة له.. يخطر سؤال: هو لماذا سمّى صدام جهازه: حنين؟ وهل عرف ان من معانيه اللغوية: الحنان..

والرحمة؟

أغلب الظن انه لم يرجع الى (معجم البلدان) فصدام التكريتي: لا يعرف: الحنان، ويكره: الرحمة!

لمخابرات النظام العراقي تاريخ لم يدون بعد، لأن أي تدوين لا بد ان يستند الى وثائق وهذا ما لا يتوفر اليوم، وقد يتوفر بعد سقوط النظام، ومن خلال تجربتي التي تمتد ثماني سنوات استطعت ان أكون فكرة واضحة عن هذا الجهاز العنكبوتي الرهيب الذي كان واحداً من العوامل التي أبقت النظام العراقي هذه المدة الطويلة وأدون فيما يلي المعلومات التي استجمعتها من الذاكرة وهي تشمل مدة عملي داخله:

ثمة عالم يدعى: المجلس الأعلى لأمن الدولة! رئيسه صدام حسين.. وهو يضم مجموعة الأجهزة الأمنية الموجودة في العراق وأهمها:

١ - المخابرات

٢ - الاستخبارات العسكرية

٣ - الأمن الخاص

٤ - الأمن العام

٥ - أمن الحزب.

تكون (المجلس الأعلى لأمن الدولة) بشكل سري أثر انقلاب ١٩٦٨ والشروع ببناء جهاز المخابرات.

كان سكرتير هذا المجلس: العقيد الركن سعدون مصلح.

وسعدون يشغل أيضاً منصب المدير الشخصي لمكتب صدام. عندما كان نائباً لما يدعى بـ(مجلس قيادة الثورة). يمثل هذه الدوائر في المجلس الأعلى لأمن الدولة:

١ - رئيس المخابرات العامة.

٢ - مدير الاستخبارات العسكرية.

٣ - مدير الأمن العام.

٤ - المسؤول الأمني في القيادة القطرية.

وفي الثمانينات أضيف اليه (جهاز الأمن الخاص) الذي شكل (لضرورات أمنية)..

ثم زادت الأجهزة القمعية وتفرعت وامتدت بعد ذلك! ومؤخراً وأثر انتهاء (أم

المهالك) تم تعيين نائب لرئيس المجلس هو: قصي النجل الثاني لصدام حسين.

يتخذ المجلس من مبنى (المجلس الوطني) في كرادة مريم والقريب من القصر الجمهوري مقراً له. وله اجتماعات دورية يحضرها رؤساء ومدراء الأجهزة الأمنية. وقد يعقد مرة كل أسبوعين. ويجب ان يحمل كل رئيس جهاز تقريراً عن نشاط جهازه والمشكلات التي (تعيق العمل) ليتسنى معالجتها.

وأهم الأجهزة القمعية الخمسة: المخابرات.

فهو العصب الرئيسي الذي يعتمد عليه صدام في ديمومة نظامه.

المخابرات

قلت ان هذا الجهاز هو الذراع الحديدية للنظام، وقد تأسس في العام ١٩٦٨ وتعاقب على رئاسته أركان النظام وهم:

١ ـ صدام حسين: شغل رئاسته طيلة سنتين (١٩٦٨ ـ ١٩٧٠).

٢ ـ سعدون شاكر: بقي فيه عشر سنوات ساعده وتدرب على يديه: برزان التكريتي (الأخ نصف الشقيق لصدام).

٣ ـ برزان التكريتي: تسلم الجهاز أثر استيلاء أخيه صدام على السلطة (١٩٧٩) وخرج منه في العام (١٩٨٥) لخلافات داخل الأسرة الحاكمة.

٤ ـ اللواء هشام صباح الفخري: وهو قائد عسكري، من الموصل وبقي على رأس الجهاز فترة قصيرة.

٥ ـ اللواء فاضل البراك: من أقرباء صدام ارتفع نجمه أثر مشاركته في تصفية عدد من العسكريين والمدنيين في العام ١٩٧٠ ثم أوفد الى موسكو حيث درس على أيدي خبراء الكي.جي.بي في موسكو. وقد بقي البراك سنوات طويلة ثم أبعد وعين مستشاراً أمنياً لصدام في الرئاسة.. وأخيراً اعتقل.

٦ ـ فاضل صلفيج: من أقرباء صدام عين رئيساً بالوكالة لبعض الوقت. وهو مدني حقوقي سبق له ان تولى منصب سفير النظام في الهند ونال الدكتوراه من (جامعة البكر).

٧ ـ سبعاوي ابراهيم التكريتي: (الأخ غير الشقيق لصدام) عين في العام ١٩٩٠

رئيساً للجهاز ولا يزال حتى اليوم.. تدرب سبعاوي في هذا الجهاز فترة طويلة وخاصة أيام شقيقه برزان حيث كان يتولى مسؤولية: شعبة مكافحة التجسس. وهي واحدة من أهم شُعب الجهاز..

المجموع: نصف مليون زائداً؟!

وثمة سؤال يطرح هو: كم عدد العاملين في جهاز مخابرات النظام؟

في تقديري ان هناك نحو: ٤٥٠ ألف موظف وموظفة يعملون فيه!

هذا عن الموظفين والموظفات أما عن عدد المتعاونين فأنه يصعب معرفته، لأنه اضعاف اضعاف هذا الرقم!

فلقد رصد النظام ميزانية خيالية وضعها تحت تصرفه ـ وتصرف الأجهزة الدموية الأخرى ـ لأنه يعتبر هذه الأجهزة الركيزة التي يستند اليها.

هذه الأمكانات والطاقات الحاشدة أدت الى نجاح جهاز المخابرات في حفظ النظام، وقد نجح في جمع المعلومات الأمنية واختراق الأجهزة الأخرى وفي عمليات التجسس على الأصعدة العربية والاقليمية والدولية..

وعقد الجهاز اتفاقات تبادل معلومات مع الأجهزة المماثلة، وبلغت الاتفاقات الأمنية ذروتها أيام: سعدون شاكر.

فلقد عقد سعدون اتفاقات مع أجهزة مهمة بينها الكي.جي.بي الروسي ودي.اس.تي الفرنسي.

كان الجهاز مقسماً أيام برزان التكريتي الى مديريات.. وكل مديرية لها مدير عام..

وهذه المديريات تابعة الى الرئاسة ورئيس الجهاز يدعى: السيد الرئيس!

وبعد طرد برزان تم تغيير هذه الأمور ـ أيام البراك ـ فأطلق على الرئاسة اسم: مديرية المخابرات العامة! وسميت المديريات: شُعباً (جمع شعبة) وهكذا.

وسنتناول هنا أهم شعب جهاز المخابرات.

تنقسم شعب الجهاز الى مديريات تختص كل واحدة منها بمهام ومسؤوليات معينة، وحتى تركي العمل في الجهاز كان أسلوب العمل منح كل شعبة رقماً معيناً يبدأ بحرف م، وفيما يلي قائمة بأهم الشُعب:

م/١ المكتب الخاص برئيس الجهاز وملحقاته.
م/٢ شعبة الحماية.
م/٣ الشعبة الأمنية
م/٤ مكافحة التجسس
م/٥ الخدمة السرية
م/٦ شعبة الطلبة
م/٧ شعبة الاغتيالات
م/٩ شعبة الحاسبة
م/ ـ شعبة عربستان يديرها لقمان العودة
م/١٢ شعبة الخدمة الخارجية.

الهيئة التحقيقية

هي شعبة منفصلة تماماً عن شعب المخابرات، مهمتها القيام بأعمال التحقيق واستخدام ألوان التعذيب لانتزاع المعلومات المطلوبة من المشتبه بهم أو المتهمين.

يرأس الهيئة التحقيقية العقيد الحقوقي شاكر العبيدي. ولها معتقل خاص يضم المعتقلين المطلوبين.

وبعد اكمال التحقيق مع المشتبه بهم وتعذيبهم تعذيباً فظيعاً، تحال أوراقهم الى المديرية المختصة اذا بقي المتهم على قيد الحياة وتلزم الهيئة بتقديم تقرير مفصل عن القضايا المدرجة على ذمة التحقيق. وتعتمد على ضابط من خريجي كلية الشرطة تم تنسيبهم الى المخابرات لهذا الغرض.

العراك يقود الحماية!

م / ٢ شعبة الحماية:

مهمة هذه الشعبة تتلخص بمسؤولية حماية رئاسة المخابرات والمديريات والدوائر التابعة لها، والوزارات والدوائر الحساسة في بغداد، العاصمة وبينها المطار الدولي

الذي يحمل اسم صدام.

يدير شعبة الحماية عراك نواف (لغاية ١٩٨٩)، وهو ضابط من أهل الرمادي.. وحالياً يعمل في احدى سفارات النظام في قطر خليجي.

من مهام هذه الشعبة:

- حماية مجموعة من المسؤولين سواء أكانوا في الخارج أم في الداخل!
- تشمل مسؤولية هذه الشعبة حماية (بعض العرب) المقيمين في الخارج ويتحمل جهاز المخابرات حمايتهم لأنهم: عملاء له!
- ومن ضمن مسؤولياتها أيضاً: حماية سفارات النظام خارج العراق..

ولا بد ان نعرف ان جميع حرس سفارات صدام هم: عناصر هذه الشعبة!

م/٧ شعبة الاغتيالات:

تعدّ هذه الشعبة من الدوائر الأكثر حساسية في الجهاز الأخطبوطي، ويتولى رئاستها: النقيب صبري الحديثي. وهو خريج كلية الشرطة، وهو يتجاوز الخمسين عاماً من العمر، وسبق له ان عمل في مديرية الأمن العامة.

لقد عملت في هذه الشعبة بدءاً من سنة ١٩٧٧ كضابط اداري، وكنت قد اجتزت دورة في الكلية العسكرية الثالثة مدتها ستة أشهر، وبعد ان تخرجت منحت رتبة: ملازم ثان.

والكلية العسكرية الثالثة خاصة بالقصر الجمهوري، أسس هذه الكلية حسين كامل ـ صهر صدام ـ ومسؤول صناعته العسكرية ووزير دفاعه الأسبق!

وتقبل هذه الكلية عدداً محدوداً من خريجي الاعدادية (الباكلوريا) ثم تطورت لكلية حيث أصبحت لا تمنح شهادة (الملازم الثاني) إلّا بعد دراسة ثلاث سنوات. وسترد معلومات مهمة عن أعمال هذه الشعبة في مواضعها.

م/ شعبة النساء

لقد وضع صدام حسين خطة لافساد المجتمع العراقي تتلخص بهدم شخصية

المواطن العراقي!

فلو رجعنا الى السجلات الخاصة التي تملكها وزارة العمل والشؤون الاجتماعية مثلاً لوجدنا:

١ ـ ان صناعة الخمور توسعت بشكل يفوق العراق، حجماً وسكاناً!

واذا عرفنا بأن العراق لم يكن يوماً من مصدري هذه الصناعة المدمرة، لأدركنا المخطط الهادف الى التفسخ والتمزق!

٢ ـ اعتماد النظام سباق الخيل والمراهنات عليه ولهذا ألف مغزى!

٣ ـ تزايد عدد النوادي الليلية والملاهي والحانات المبتذلة! والأهم من كل هذا انه استخدم العنصر النسائي في جهاز المخابرات، وحوّله الى: شبكة واسعة تديرها: افتخار أحمد أيوب.

وهي سيدة في حدود الخمسين من العمر تسكن في حي المنصور، حقوقية وضابطة شرطة تتولى مسؤولية الخط النسوي وتعمل في هذه الشعبة نساء كثيرات بينهن: نساء منحرفات ونساء ليل.

وثمة نساء موظفات في شتى قطاعات الدولة، وهن يرتبطن بالسيدة افتخار التي توجههن وتتلقى منهن التقارير عن نشاطاتهن في رصد انفاس العراقين وأقاويلهم! مقابل مرتبات ومكافآت مغرية وحسب «النشاط»!

وتساعد افتخار مجموعة من الموظفات بينهن: السيدة وداد عبد الهادي. سبق لوداد العمل في الدائرة الثقافية في سفارة النظام في باريس.

ومن أبرز الناشطات من العناصر المخابراتية النسائية:

ـ السيدة سحر صفو ـ غنوة ـ من الأعظمية ـ أم عصام ـ أم طارق ـ تسكن في حي الشرطة ببغداد.

لم يقتصر عمل شعبة النساء على استدراج العراقيات للمهمات القذرة! بل تخطاهن الى: الاستعانة بالنساء العربيات والأجنبيات!

كان مسؤولو المخابرات يدرسون ملفات كل النساء المقيمات في العراق لاختيار «العناصر» التي تناسبهم في (أعمالهم) و(مهماتهم)! والمجندات في خدمة المخابرات منتشرات في كل المؤسسات والوزارات والشركات والمكاتب والفنادق اضافة الى البيوت طبعاً!!

وجميع العاملات في الملاهي ـ وما أكثرها اليوم! ـ هنّ مجندات في الأجهزة الأمنية!

وعلى سبيل المثال فإن كل راقصة تقدم للعمل في ملاهي ومواخير العراق، لا تحصل على عقد عمل، إلاّ بعد ان تتعهد بالخدمة في المخابرات!

والراقصات الفلبينيات والآسيويات ينخرطن في دورة فور وصولهن العاصمة العراقية مدتها ٣ أسابيع يتعلمن خلالها فنون التجسس، من طرق التسجيل الى التصوير السري، ويزودن بكاميرات ولاقطات ويكلفن بمراقبة بعض الدبلوماسيين العرب والأجانب والمشاركة بعمليات تصفية ان اقتضت الحاجة!

وعلى سبيل المثال أذكر ان احدى الراقصات الفلبينيات شاركت بتصفية خميس الشعلان أواسط الثمانينات!

وخميس أحد شيوخ عشائر (البوعيسى) وهو من أهل الفلوجة، وكان من عناصر المخابرات ثم (تمرد) على المخابرات عندما كلف بقضية رفض تنفيذها وشتم برزان والنظام!

قتل الشعلان بمسدس كاتم للصوت وجهته الى صدغه راقصة فيليبينية!!

على الرغم من حداثة (شعبة النساء) فقد لعبت دوراً متميزاً في تكميم أفواه الشعب العراقي، ورصد أنفاس العراقيين!

أدى انشاء هذه الشعبة الى مضاعفة حجم الرعب في العراق الى أقصى مدى.. تاريخ تأسيسها له معناه!

فقد انشئت سنة ١٩٧٩ وهو تاريخ استيلاء صدام حسين على (رئاسة الجمهورية)!

وتولى برزان التكريتي فور تسلمه (رئاسة الجهاز): انشاء هذه (الشعبة) بأشراف صدام طبعاً.

ويشاع بين ضباط المخابرات ان صدام حسين عرض على الرئيس الراحل أحمد حسن البكر فكرة انشاء شعبة خاصة بالنساء داخل (جهاز المخابرات) فرفضها قائلاً ما معناه:

ـ انني أرفض مثل هذا الأمر، لأنه سيشجع على تفسخ المجتمع العراقي وهدم الأسرة العراقية..!

وهذا بالتحديد ما نفذه صدام حسين بعد ان أجبر البكر على التنحي عن الكرسي الأول لمصلحته وخلاله العراق كله!

ومن بين مئات الحكايات التي أعرفها عن (شعبة النساء) اخترت من ذاكرتي واحدة

منها مستخدماً أسماء مستعارة، لأن الهدف ليس التشهير الشخصي، بل تشخيص طبيعة النظام الدموي ـ اللااخلاقي من خلال هذه الحكاية ـ (النموذجية):

كان (فرحان) رجلاً اعتيادياً، إلاّ أنه كان يحلم بالثراء، ولما كانت امكاناته الاقتصادية محدودة، فقد سعى لجمع الثروة بأية وسيلة!

ولما باءت محاولاته بالفشل، دخل السجن عدة مرات بتهمة: محاولة تقديم الرشوة الى المسؤولين!

كان يعيش في بيت متواضع جداً مع زوجته وأطفاله تغمرهم السعادة والحنان.

وبواسطة صديق له دخل مجالاً جديداً هو: بيع وشراء السيارات.

راجت هذه التجارة مع تسلم (الحزب الأوحد الحاكم) السلطة وظهور طبقة جديدة من (الحزبيين) ممّن أثروا، وتضاعف اعداد السيارات نتيجة ازدياد أسعار النفط مما جعل النظام يشتري السيارات بمختلف الأشكال بكميات هائلة ويوزعها الى كل من يعتقد انه سيفيده يوماً!

انتشرت ظاهرة السيارات، وأصبح لها تجارة رائجة رغم المبالغ الباهظة التي تنتزعها (الجمارك) من العراقيين!

جدّ (فرحان) ببيع وشراء السيارات فحقق نجاحاً مرموقاً، وتحسن دخله بشكل مذهل!

كانت زوجته (علياء) توفر له كل الظروف التي تساعده على تحسين وضعه، ولم تقصر في رعاية بناته الأربع وولده الوحيد.

وذات يوم سهر مع أحد اصدقائه في أحد النوادي، واثناء السهرة همس في أذنه:

ـ يا فرحان اذا كنت تريد ان تطور وضعك فليس أمامك إلاّ طريق واحد، أتعرفه؟

ـ نعم.. الحزب الحاكم..

ضحك الصديق وقال له:

ـ أنت ساذج، لأن الحزب عبارة عن (ديكور) لا أهمية له!

سأل فرحان بعصبية: إذاً المخابرات؟

نعم.. هذا هو الطريق لمن يريد ان يجمع الأموال والجاه!

خلال أيام تم كل شيء!

أصبح فرحان عنصراً من عناصر المخابرات بأدنى رتبة هي: وكيل مخابرات.

وسرعان ما شقّ طريقه في هذا الجهاز المرعب، وتحول الانسان الوديع الى وحش ذي أنياب مفترسة!

ـ شارك في عدة عمليات تصفيات لمجموعة من المعارضين من اعداء النظام.

ـ وكلّف أيضاً بالتخطيط لمحاولات اغتيال عدد من: الرؤساء العرب!

ولم يكتف بالعمل مع مخابرات النظام بل تخطاه الى: الاستخبارات العسكرية!

أضحى هذا الرجل العنصر الأساسي في جهازين أمنيين حساسين واقتضت مهماته السفر.

وبشكل عاجل تحول الى: أحد الأثرياء اللامعين.

وكالعادة أصبح: يعرف أكثر مما ينبغي!

اختزن أسراراً كثيرة ودقيقة عن النظام من خلال أخطر جهازين يعدان عصب النظام. وتخطى فرحان أصول اللعبة المعروفة في الأجهزة الاستخباراته عندما راح: يتبجح ويثرثر (بالخدمات) التي يقدمها لهذه الأجهزة!

عقد مسؤولون من جهازي (المخابرات والاستخبارات) اجتماعات ودرسوا التقارير الكثيرة الواردة عنه من مختلف المصادر، واتخذوا قراراً يقضي بـ: تصفيته جسدياً!

وبعد عرض الأمل على برزان التكريتي رئيس مخابرات النظام صدر أمر يقضي بأن يتولى تنفيذ حكم الاعدام به أقرب الناس اليه: زوجته: أم أطفاله!

وقد يستغرب القارىء مثل هذا العمل الاجرامي ولكن لا بد من التوضيح بأن زوجته هي الأخرى استدرجت للعمل في: جهاز المخابرات!

وهذا هو الذي سهّل أداة التنفيذ بشكل يبعد الشبهات عن الجهاز الأخطبوطي!

فالزوجة كانت من بين (الشهود) ضده! من خلال التقارير والأشرطة التي تؤكد خروجه على (اللعبة) غير المسموح بها في عالم المخابرات، كما قلت. وتم وضع خطة لا يمكن تخيلها إلاّ في فيلم بوليسي مثير!! فلقد وجد فرحان مقتولاً في فراشه، في داره! وسجل الحادث رسمياً ضد: مجهول.. معلوم!

السيناريو

في أواخر سنة ١٩٨٠، وفي ليلة شتوية باردة كان كل شيء في الحيّ الارستقراطي

الذي كان يسكن فيه الضحية يبدو هادئاً! فالهدوء يغلف الحيّ، واعتاد الناس العودة الى بيوتهم مبكرين، بعد ان اختطف النظام الكثيرين بحجة «التطوع» وساقوهم مرغمين الى الحرب!

كان على الجميع الاستماع الى البلاغات الحربية الجافة أو الأناشيد المملة.. أما السهرات فلم تتعدّ مشاهدة خطب (صدام العنترية) أو جولاته هنا أو هناك!

على مقربة من بيت فرحان كان يقع بيت أحد وزراء النظام وأركانه المهمين.. ولهذا كانت سيارة شرطة النجدة موجودة لحراسة «الوزير».. وفرحان أيضاً! أو هكذا كان يفترض..

كان سيناريو الجريمة بسيطاً ـ معقداً!

كان فرحان يغطّ في نومه عندما تسلل القاتل عن طريق باب المطبخ، ومنه توجه الى غرفة نوم المجنى عليه، حيث أرداه بعدة طلقات من مسدس حديث. كان السيناريو معداً ببراعة! فلقد يسرت الزوجة (المخابراتية) كل الأمور!:

ـ فتحت أبواب البيت وكأنها تستقبل نسائم الربيع!

في تلك الليلة غابت سيارة شرطة النجدة، عن الحيّ لأول مرة..!

لم يسأل ـ الوزير الخطير ـ عن السبب، لأنه ليس من حقه التدخل بالشؤون الأمنية!

خرج القاتل المحترف بعد ان تأكد له مصرع ضحيته ليستقل سيارة الفيات ـ الايطالية ج.ل والعائدة الى مخابرات النظام التي كانت تنتظره على مسافة ٣٠٠ متر من مسرح الجريمة فقط! واستقبله زميلاه فما كان منه إلّا أن يرفع: اشارة النصر!!

ـ النصر على من؟ على (فرحان) المخابراتي الثرثار؟!

تكملة السيناريو

ولكن ماذا حصل بعد ذلك؟

زوجة القتيل لم تتصل بالشرطة لتبلغهم بحادث القتل كما تقتضي الأصول والأعراف! كانت تحرص على ان يبتعد القاتل المعروف لديها جيداً! وكانت تريد ان تطمئن الى ان زوجها قد مات فعلاً!

كانت المفاجأة ان بعض الجيران (الفضوليين) قد سمعوا اطلاقات نارية! وعلى

الفور حدّقوا من شبابيك بيوتهم!

بل أن أحدهم حدد هوية السيارة (المشتبه بها) والغريبة عن الحيّ! سارع بعضهم الى دار المجني عليه واتصلوا بدائرة الشرطة. نقل المغدور الى المستشفى، وفي تلك الساعة كانت الزوجة قد: ازالت كل آثار الجريمة! مسحت، الغرفة التي شهدت التنفيذ المرعب!

وفي صباح اليوم التالي حضر قاضي التحقيق وبعد دراسة الوضع أصدر أمراً بـ:

ـ اعتقال الزوجة على ذمة التحقيق!

غير ان هذا لم ينفذ سوى يوم واحد، أطلق سراحها بعدها والفضل في ذلك يعود الى تدخل: جهاز المخابرات!

أهل الضحية لم يتركوا الجريمة تمرّ، فلقد راجعوا دوائر الدولة محاولين كشف أسرارها التي يجهلون أبعادها! توسطوا وحاولوا وضغطوا على أحد الحكام وبعد ان درس هذا ملف القضية أوعز باستدعاء الزوجة.. ومرة أخرى نفض الحاكم الجديد يديه من (الجريمة الغامضة)!

مقابلة صدام!

وهنا استدعى مسؤول في المخابرات الزوجة وطلب منها ان تقابل (صدام حسين) في مكتبه الرسمي! وتتظاهر أمام الناس بأنها ستطلب منه مساعدتها في (فك طلاسم الجريمة) و(تحديد هوية القاتل)!!

توصل المسؤولون في المخابرات الى هذه النتيجة في محاولة للرد على الشائعات التي بدأت تأخذ طريقها الى الشارع عن الجريمة وملابساتها!

وفعلاً قام برزان التكريتي بتحديد موعد مقابلة الزوجة لأخيه ـ نصف الشقيق ـ وسيده!

استقبل صدام الزوجة ـ (المتشحة بثوب الحداد) ضاحكاً، مهنئاً لها على شجاعتها في (خدمة الحزب والثورة) وتقديم (الواجب على كل الاعتبارات)!!

وبعد ان قدم لها كل عبارات المجاملة سلّمها مظروفاً يحتوي على مبلغ كبير ـ (هدية منه للأولاد)(!)!

وفي ختام المقابلة أخبرها أنه أوعز بـ:
ـ اغلاق الملف، وتسجيل الحادث ضد مجهول!

منفذ الجريمة

كنت أعرف الضحية معرفة جيدة، ولهذا اهتممت بالأمر، ورحت افتش عن تفاصيل الجريمة فتأكد لي ان السبب المباشر لها ـ انه ـ أي الضحية ـ بدأ يتحدث متباهياً وكأنه أضحى عنصراً مهماً: يأمر وينهي!! وأنه قدم (خدمات كبرى) الى المخابرات و(الاستخبارات)! وهكذا تم التخطيط لتصفيته جسدياً!

الطريف ان منفذ العملية هو: أحد أقربائه! فلقد جند زوجة المغدور في المخابرات، ولهذا فإنه كلف بتنفيذ الجريمة!

تم استدعاء الزوجة الى رئاسة المخابرات وكلمها برزان شخصياً، وكان المسؤولون عن تنفيذ (العملية) يقفون أمامها!

قال لها برزان: مساء هذا اليوم سيتم التنفيذ! وقد أصدرنا أوامر الى دوائر الشرطة والنجدة بالابتعاد عن المنطقة!

وقدم برزان التعليمات المحددة للزوجة بكيفية ترك الأبواب مفتوحة، وان تنام مع أطفالها بشكل طبيعي! مع التوصية بعدم تبليغ الشرطة مباشرة بالحادث(!)

أقام أهل المجنى عليه فاتحة على روحه.. والغريب ان جميع العناصر الذين نفذوا الجريمة حضروا مجلس العزاء!!

أسرار زيارة الوفد «الاسرائيلي» الى بغداد!

صدام استقبل الوفد وشدّد على ضرورة تطوير العلاقات مع «اسرائيل»!

نزار حمدون خطط للزيارة

تعاون تام بين «بغداد» و«تل أبيب»!

في تمام الثامنة والنصف من مساء أحد أيام نيسان/ ابريل ١٩٨٩ حطت طائرة خاصة في مطار المثنى ـ الواقع في قلب بغداد..

كان أول الهابطين منها: نزار حمدون سفير النظام في واشنطن (سابقاً) وتتابع الآخرون، كنا قد أعددنا كل شيء، جهزنا ثلاث سيارات فخمة تحمل لوحات تسجيلها كلمة «وفود» وضربنا نطاقاً من السرية على الطائرة ولم أجد صعوبة في معرفة هوية «الوفد» الذي شغلنا به أياماً طويلة، وبالتحديد منذ الثالث عشر من الشهر نفسه عندما وردتنا برقية من جهاز الأمن الخاص الى مكتب شؤون الحرس الجمهوري الخاص والتي تطلب تنسيبي لمرافقة «أحد الوفود الأجنبية التي تزور القطر»..

كان الوفد «اسرائيلياً»، ووجود «حمدون» يؤكد هذه الحقيقة، اضافة الى اختيار (مطار المثنى) المنعزل والبعيد عن الناس والاجراءات الأمنية المعقدة التي أحيط بها الوفد منذ اللحظة الأولى لقدومه!

كان الوفد يتكون من أربعة أشخاص وفوجئت بأن أحدهم كلمني باللهجة العراقية الصافية!

قدم لي نفسه قائلاً :

ـ اسمي علي، أقيم في الولايات المتحدة الأميركية أنا مترجم الوفد!

كان أعضاء الوفد يتكلمون الانكليزية مع حمدون، ولم يكونوا بحاجة الى ترجمان!

اذن ما سرّ «علي» هذا ؟

عندما تسلمت الأمر الاداري الذي يقضي باختياري مرافقاً لهذا الوفد المهم توجهت الى جهاز المخابرات وزرت مدير الشعبة المختصة بزيارات الوفود، لقد فوجئت بأنه صديق قديم أعرفه منذ العام ١٩٨١ عندما أمضينا سوية ثلاثة أسابيع في فندق «نوفوتيل» بباريس كنا مجموعة نجتاز دورة في شركة «تومسون» الفرنسية خاصة بأجهزة المراقبة والتفتيش التي نصبت في مطار (صدام الدولي).

بعد ان استعدنا شيئاً من ذكرياتنا الباريسية المشتركة قلت له بجد :

ـ أنا الضابط المنسب اليكم من (الأمن الخاص)!

ضحك وقال : العالم صغير !

قلت له : كيف ؟

قال: سنكون سوية . سنرافق وفداً سيصل مساء هذا اليوم بالتحديد . هنا سألته عن هوية الوفد . .

أجاب: لا أدري أنه قادم من باريس وتقله طائرة خاصة ستهبط في (المثنى) لا في (المطار الدولي) . وتمتم قائلاً :

ـ أحسب أنه وفد مهم جداً، لأننا اتخذنا احتياطات ضخمة لسرية الزيارة .

لم أكن أثق بـ«ياسين» ـ وهذا هو اسمه ـ وهو من أهل بيجي ـ قرب الموصل ـ وكنت دائم الحذر منه .

قلت له بلهجة قريبة من المزاح : تتكلم وكأن الوفد اسرائيلي!

أجاب جاداً : أرجوك لا تمزح . .

سألته : من أين تأتيك التعليمات ؟

أجاب بلا تردد :

ـ من (فاضل صلفيج) [مدير المخابرات العام وهو ابن خالة صدام].

لم يكن الطريق الذي يفصل (مطار المثنى) عن (فندق الرشيد) يزيد عن كيلومتر واحد لا أكثر، وعندما وصلنا الى الفندق صحبة اعضاء الوفد أخبرنا بأن أربعة أجنحة خصصت لهم وغرفة لي وأخرى لصديقي .

كانت الأجنحة تحمل الأرقام ٣١٠٢، ٣١٠٣، ٣١٠٤، ٣١٠٦ .

أما غرفتنا فكانت في الطابق الثاني تحمل الرقم ٢١١٠ .

عندما صعد اعضاء الوفد ودعهم نزار حمدون متمنياً لهم ليلة سعيدة وبعدما غادر الفندق سألت صديقي عن سرّ (المترجم)؟

قال: انها مسألة طبيعية ان يكون بين وفد أجنبي من يحسن لغة البلد المضيف .

قلت: أنا أشك في أمر هذا الرجل الذي يزعم انه مترجم عراقي مقيم في الولايات المتحدة الأمريكية!

لم يعلق صاحبي . .

في العاشرة من مساء اليوم الثاني، أقام حمدون حفل عشاء على شرف الوفد، حضر فاضل صلفيج وتوجهنا الى مطعم المضيف الواقع على شارع (أبي نواس) وانتحينا مكاناً منعزلاً في الطابق العلوي للمطعم، وبينما كان السفير حمدون وصلفيج يتبادلان أحاديث المجاملة والود مع اعضاء الوفد كان (المترجم) قد أخذ يسألنا عن العراق . . بغداد وما طرأ عليها من تغيرات . . واعترف لنا قائلاً :

تركت العراق عندما كنت في السابعة عشرة من العمر . .

قلت له ضاحكاً : ولماذا منحت نفسك اسماً اسلامياً؟

أجاب بضحكة أكبر : وهل هذا ممنوع؟

قلت: لا . . لكن المؤكد انك عراقي .

سألني : هل تعرف جنسية الوفد؟

أجبته باسماً :

ـ هل تعتقد انني اخترت لمرافقة وفد ليل نهار ولا أعرف هوية الوفد؟

بعد ثوان قال: اتمنى ان تقدم لي خدمة . .

قلت : ما هي ؟

قال: أرغب أن أزور مدينة عنه ـ مسقط رأسي ـ وهي مدينة تقع على نهر الفرات في الجهة الغربية من الرمادي ـ تبعد عنها ٢٧٠ كلم، وكانت تقطنها جالية يهودية كبيرة . .

قلت له: سأبذل جهدي واذا سمح الوقت بأذن الله، والواقع ان آثاركم موجودة لحد الآن، وخاصة معبدكم.

لم ينتبه صاحبي للحديث الذي دار بيني وبين (الترجمان) ولاحظت ان ـ فاضل صلفيج ـ غير مرتاح للحديث الذي كان يدور بيننا..

إذاً الوفد المهم هو من (تل أبيب).

قلت لنفسي ونحن نغادر المطعم الفخم في نحو الواحدة والنصف فجراً.

ابلغنا (حمدون) بعد ان ودع اعضاء الوفد انهم سيقابلون (الرئيس) في العاشرة والنصف، وطلب اتخاذ ما يلزم من اجراءات كابلاغ السائقين وأكد انه سيكون موجوداً في (القصر الجمهوري)..

عقب فاضل صلفيج بأنه ـ هو الآخر ـ سيكون موجوداً في الوقت المحدد توجهنا الى الفندق وفيه اختليت بالمترجم وسألته هامساً:

ـ هل كانت رحلتكم من تل أبيب الى بغداد مباشرة؟

اجابني بهدوء:

ـ لم تكن رحلتنا مباشرة، فلقد أمضينا عشرة أيام في واشنطن للتحضير لهذه الزيارة بالتعاون مع نزار حمدون.

بعد ان تأكدت لي هوية الوفد الزائر، حاولت ان أعرف أسباب الزيارة، وبينما كنت في هذه النقطة كرر (علي) المترجم رغبته في زيارة (عنه).

قلت له: أخ علي أنت تعرف مدى سرية هذا الموضوع، خاصة وان كل حركاتنا، أقصد هنا حركتكم، مرصودة خطوة خطوة، ليس من زميلي أو مني، ولكن لا بد انك تعلم ان ثمة أجهزة أمنية كثيرة.

وعدته رغم هذا ان أفعل شيئاً وقلت له:

ـ سأخبرك بنتائج جهودي بعد زيارتكم للـ(الرئيس)..

في الموعد المحدد، في مبنى (المجلس الوطني) كان في استقبال الوفد:

نزار حمدون، فاضل صلفيج، حسين كامل، أحمد حسين والأخير هو (رئيس ديوان الرئاسة).

ووفقاً للبرنامج تم استبدال السيارات وتوجهنا الى القصر الجمهوري عبر الطريق الداخلي المحاذي لنهر دجلة والذي يربط القصر بالمجلس الوطني.

عندما وصلنا القصر وجدنا (عبد حمود) ـ وهو أحد مرافقي صدام ومن أقربائه ـ ناداني قائلاً:

ـ أدخلهم..

دخلنا من غرفة المراقبة السرية ومن هناك مررنا بغرفة تؤدي الى غرفة المرافقين فغرفة (الرئيس) المخصصة للاستقبال.

دخل أعضاء الوفد واستغرقت المقابلة ساعة وربع الساعة توجهنا بعدها الى مقر (رئاسة المخابرات) حيث اجتمعوا بفاضل صلفيج فنزار حمود واللواء صابر الدوري ـ وكان الأخير يشغل منصب مدير الاستخبارات العسكرية وانتهزت فرصة قصيرة اثناء وجبة طعام أقيمت على شرف الوفد داخل مبنى (الرئاسة) فرجوت (صلفيج) ان أنفرد به لمدة لا تزيد على خمس دقائق، فوعدني ان يتم اللقاء في دار شقيقه (عماد أبي صخر)، (وكان يشغل منصب مسؤول البريد الدبلوماسي ثم قتل في حادث سيارة مدبر في وقت لاحق.

«الاسرائيلي» يزور مسقط رأسه!

كان برنامج الوفد مزدحماً فيه زيارة مدينة بابل الأثرية ثم دعوة عشاء في مطعم خان مرجان..

في الطريق الى بابل التي تبعد ٦٠ كلم الى جنوب بغداد داعبت المترجم الذي كان في سيارتنا قائلاً:

ـ اننا في طريقنا الى المدينة التي تحلمون بأن تجعلوها طرفاً لدولتكم الكبرى!

ضحك وقال: هذه حروب اعلامية!

كنت أرغب الاسترسال في الحديث مع (المترجم)، الا أنني كنت حذراً من زميلي. عدنا متعبين الى بغداد فاعتذرت عن دعوة المساء.

توجهت للقاء (فاضل صلفيج) في دار أخيه، وفوجئت ان هناك دعوة ضمت محمد الدوري (من القيادة القومية) وضباطاً من القوات المسلحة اضافة الى رجال أعمال تابعين لمخابرات النظام.

هناك اختليت بصلفيج ونقلت له رغبة (المترجم) زيارة مدينة (عنه) فوافق بعد ان

أفهمته انه ولد بها وانه هاجر بعد ذلك . .

عدت الى الفندق لأبلغ (المترجم) بالموافقة فسرّ كثيراً وطلب تنفيذ الزيارة بعد انتهاء برنامج الزيارة الرسمي.

عرفت من زميلي ان البرنامج يتضمن اطلاع الوفد على المفاعل الذري، وبعض المنشآت والمصانع العسكرية الأخرى.

بدأنا بزيارة مفاعل (سلمان باك) - (المدائن)!

تجول (الوفد الاسرائيلي) في ارجاء المفاعل واستمرت الزيارة حتى الواحدة بعد الظهر.

بعد استراحة الظهيرة، قمنا بزيارات لكل من: منشآت البكر، القعقاع، المثنى، صدام (في الحبانية) الأثير، مصانع الاسكندرية . .

استغرقت زيارة الوفد لهذه المنشآت خمسة أيام.

بعدما أتم اعضاء الوفد مهمتهم أمضوا يومين أخرين في بغداد للاستجمام والتمتع بمباهج عاصمة (حفيد القعقاع)!

اصطحبت (المترجم) الى (عنه) وطيلة الطريق الطويل وأنا أحاول استدراجه الى ما جرى خلال الزيارة . .

عن لقائهم بصدام حسين قال:

- في هذه الزيارة اتفقنا على ايقاف جميع النشاطات الاستخبارية بين الطرفين، كما حصلنا على تأكيد بعدم استخدام الأسلحة العسكرية المتطورة التي تنتج في مصانع العراق ضد (اسرائيل).

في المقابل تتعهد (اسرائيل) بعدم توجيه أية ضربة الى العراق . . كما حصل في ضرب المفاعل النووي العراقي (تموز) اتفقنا على ان تقدم (اسرائيل) كل ما لديها من معلومات عن ايران كما تقطع (اسرائيل) صلاتها بـ(اكراد العراق).

- هنا سألته عن حكاية ضرب مفاعل (تموز) فقال:

- لقد حصلنا على جميع المخططات الدقيقة والتفاصيل من الفرنسيين، حتى ان توقيت القصف كان في وقت (الغروب) يعود الى حصولنا على معلومات من الفرنسيين بأن العراق يقوم بأحداث سدّ ترابي حول المفاعل واثناء العمل تكون الرؤية رديئة جداً بسبب الأتربة المتصاعدة . . وهكذا كان توقيت القصف دقيقاً.

سألته عن مقتل (المشد) العالم النووي المصري الذي قتل في فندق (ميرديان) باريس فأجاب قائلاً:

- تمت العملية بمساعدة الفرنسيين أيضاً ثم التفت (المترجم) قائلاً:

- الآن لا مشاكل بين (العراق) و(اسرائيل) لأن الرئيس صدام يؤمن بوجود الدولة الاسرائيلية وهو مستعد للاعتراف بها بعد حل مشكلة الفلسطينيين.

وصلنا الى (عنه) وبالتحديد الى بقاياها بعد ان طمرتها مياه (سدّ القادسية) الذي أقامه النظام مزيلاً بذلك واحدة من أقدم المدن في العالم التي ورد ذكرها في (التوراة) (الكتاب المقدس القديم).

وعندما أشرت الى موقع معبد (اليهود) الذي أغرقته المياه، بكى (المترجم) . .

بعد استراحة قليلة توجهنا الى (عنه الجديدة) التي بناها النظام وبعد جولة قصيرة عدنا الى بغداد . .

حاولت ان أظفر بنسخة من التقرير الخاص بزيارة (الوفد الاسرائيلي) الذي جاء الى بغداد ليقدم التهاني الى (صدام) في انتصاره على «ايران» غير انني لم أوفق . .

صراع بين المخابرات العراقية والكي. جي. بي!!

ضابط روسي قيادي
يجند نفسه للمخابرات العراقية!

كيف اختفى (ص) في (مطعم العش الذهبي)؟!

المخابرات تضع القياديين العراقيين
تحت المراقبة ٢٤ ساعة يومياً!!

كان الصالون الرئيسي لفندق المنصور - ميليا هادئاً، فلقد غادر معظم المدعوين لمهرجان بابل الفني بغداد، بعد ان ضجّ بهم هذا الفنـدق الذي يتكـأ على نهر دجلة الساحر.. كانت الساعة تشير الى نحو التاسعة عندما حدث أمر ما!

كان رُوادِ الفندق معروفين في الأحوال الاعتيادية، ولهذا فإن العيون تترصد الغرباء والفضوليين ممن يرتادون الفنادق الكبرى لاحتساء شيء ما أو للقاء «ضيف» أو ما أشبه!

التقطت العيون الراصدة دبلوماسياً روسياً معروفاً جلس في زاوية من الصـالون وبعد دقائق التحق به عراقي وسرعان ما اندمجا في حديث حميم استغرق عشرين دقيقة!

وبينما راحت «الغارسونة» الحسناء - المرتبطة بمخابرات النظام تصور الاثنين في لقطة مثيرة بناء على اشارة تلقتها من عين يقظة، نهض الروسي (س) الى المرافق الصحية وتبعه العراقي (ص) بعد لحظات!

كان المنظر مذهلاً وسارعت كل عيون الرصد تحاول ضبط (س) و(ص) في حالة تلبس . . أي: لحظة تسليم تقرير أو مظروف أو نقود أو ما أشبه . . !

غير ان كل الجهود تبددت !

كانت تلك : الخطوة الأولى !

تابع شخصان كانا ينتظران خروج «المشبوهين» في موقف السيارات الموجود في ساحة الفندق .

خرج العراقي (ص) وتوجه نحو سيارته ـ تويوتا تاكسي موديل ١٩٧٩ رقم ١٢٢٦ بغداد وسرعان ما اجتاز الجسر/ الكوبري الذي يفصل بين جانبي كرخ بغداد ورصافتها وتابعه العين المكلف بمراقبته فاقتحما شارع الرشيد ومنه اتجها الى شارع أبي نواس .

أوقف (ص) سيارته ودخل (مطعم العش الذهبي) وهو يقع في بناية مخصصة للخبراء الأجانب تعود ملكيتها الى الاستخبارات العسكرية . وهناك اختفى (ص)!

بذل الشخص الذي يترصده جهداً خارقاً من أجل القبض عليه، إلاّ أنه تلاشى، وكأن الأمر يتعلق بلقطات مثيرة من أحد أفلام العميل السري جيمس بوند!

البداية

كانت هذه العملية واحدة من عمليات التجسس والرصد ضد السفارات العربية والعالمية الموجودة في بغداد التي شاركتُ أنا فيها منذ أن بدأتُ العمل في شعبة مكافحة التجسس التي كان يديرها سبعاوي ابراهيم التكريتي ـ أخ صدام حسين نصف الشقيق ـ استهواني العمل في هذه (الشعبة) التي تعتبر عصب الحياة لجهاز مخابرات النظام العراقي .

كنت سعيداً بعملي الجديد هذا رغم انني كنت أعمل في قسم متواضع ! فلم أكن أكثر من ضابط اداري بسيط في هذه الشعبة الحساسة، لكن هذه الوظيفة أتاحت لي فرصة الاطلاع عن كثب على دقائق عمل هذه (الشُعبة) كما سأبين في فصل آخر .

لم أكن أملك مؤهلات أو مزايا تجعلني أصلح للعمل في قسم آخر، من الأقسام الكثيرة التي يضج بها جهاز المخابرات!

وذات يوم استدعاني أحد المدراء وقال لي :

ـ لماذا أنت مجّمد ؟

استغربت السؤال وقلت له :

ـ هذا غريب . . لست مجمداً . .

ـ إذاً لماذا لا أجد عندك الطموحات التي يملكها الشباب الآخرون؟

قلت له، لماذا لا تدخل الموضوع رأساً؟

قال :

ـ طور نفسك، ثمة دورة لمدة شهرين، أدخلها لكي تحتل مكاناً معقولاً في (شُعبة مكافحة التجسس) .

شكرت هذا الأخ ـ الذي اعتذر عن ذكر اسمه لسبب أمني ـ وانخرطتُ في الدورة التي تهدف الى تطوير ثقافة العناصر (المخابراتية) في كل ما يتعلق بالتجسس من أجهزة حديثة ومراقبة وتنصت . . الخ . .

واثناء الدورة كنا نقضي ساعتين يومياً مساء في مقر (الشُعبة) نتابع فيها آخر المعلومات . .

في ذلك الوقت كانت ثمة عملية مراقبة شديدة لسفارة الاتحاد السوفياتي . . وكانت المراقبة تشمل كل المؤسسات والشركات السوفياتية . . يومذاك كان العراق يعج بالألوف من الخبراء العسكريين . . فقد كانت العلاقات بين بغداد وموسكو قد تطورت بشكل هائل . .

كانت الأسباب كثيرة: بينها العداء السافر الذي شنته «الجمهورية الاسلامية الايرانية» ضد الاتحاد السوفياتي والشيوعية وتصفيتها حزب تودة الشيوعي الايراني واعدام قادته!

وعلى الرغم من ان صدام حسين قد فعل الشيء نفسه بالنسبة للحزب الشيوعي العراقي، إلاّ أن قادة الكرملين غمضوا أعينهم عما يجري في العراق! كان الاتحاد السوفياتي في مقدمة الدول المصدرة للسلاح الى النظام العراقي . . ولا بد من التذكير بوجود معاهدة (صداقة وتعاون)، تربط بين بغداد وموسكو منذ العام ١٩٧٢ . .

وعلى الرغم من كل هذا التعاون الستراتيجي العراقي ـ السوفياتي كانت تعليمات صدام حسين صريحة :

- راقبوا كل الروس العاملين في العراق!!

هكذا تم تفرغ «جيش» كامل خاص بمراقبة الروس عامة، والخبراء العسكريين بشكل خاص.

عندما أتممت الدورة وجدت نفسي ضمن العناصر الأساسية التي خصصت للكشف عن خلايا الروس الخطرين على (الأمن القومي العراقي)!

كان العمل في (شعبة مكافحة التجسس) يتم كالآتي:

يجهز ملف خاص بموضوع محدّد، ويوضع في عهدة مجموعة خاصة لمتابعته وجمع المعلومات المطلوبة ثم ادخالها في الحاسبة الالكترونية.. وتبقى هذه المجموعة على خط المتابعة والمراقبة الى ان توفق في وضع تصور كامل ووافٍ لمجمل القضية المطلوب حلها..

كان أخطر ما في الملف المعلومات التي وردت من شعبة الخبراء الأجانب والتي تزعم:

ان عناصر الاستخبارات العسكرية استطاعت ان تكشف بأن السفارة السوفياتية لديها عملاء وجواسيس وُفقت من خلالهم بالحصول على معلومات خطيرة تتعلق بالقصر الجمهوري - المقر الرسمي لصدام!

أكثر من هذا ان جواسيس موسكو حصلوا على محاضر جلسات (مجلس قيادة الثورة) و(القيادة العامة للقوات المسلحة)! وهما أعلى هيئات سياسية رسمية، أو هكذا يعلن الرسميون الحكوميون والحزبيون!

المعلومات التي حصلنا عليها تدعي ان السفارة السوفياتية أرسلت (التقارير) الخطيرة التي ظفرت بها الى موسكو.

إذاً لا بد من معرفة الشخص أو الأشخاص الذين يتعاونون مع الكي. جي. بي - وهو الأسم الرمزي للمخابرات السوفياتية..

بعد ان درسنا الموضوع أعددنا عدة أسئلة الزمنا أنفسنا بالاجابة عليها كخطوة أولى وهي:

١ - كيف تحصل السفارة أو جهاز الكي. جي. بي. على هذه المعلومات؟ هل تملك (قيادياً عراقياً) رفيعاً.. من هو؟ أم أنها حصلت على هذه المعلومات عن طريق أجهزة التنصت الحديثة؟

٢ - كيف علمت الاستخبارات العسكرية العراقية بهذا الخبر؟

٣ - لمخابرات النظام العراقي عنصر ارتباط مع الجهاز السوفياتي في موسكو وللجهاز السوفياتي (الكي. جي. بي) في بغداد عنصر ارتباط مقابل، وكل هذا التنسيق تم اثر توقيع بروتوكول أمني بين الجهازين تماماً كما حصل مع الفرنسيين.

خلال دراسة المسألة اثير اقتراح يقضي بمفاتحة الكي. جي. بي. من خلال مسؤول الارتباط، غير ان الاقتراح لم يحظ بالقبول. قال أحدهم:

- تذكروا اننا لم نزود الروس حتى ولو بكلمة، فكيف نطلب الآن مثل هذه المعونة؟!

وقال آخر:

- اننا لم نتوقف عن مراقبة الخبراء السوفيات حتى ولو ليوم واحد!! وفي المقابل فعل عناصر الكي. جي. بي. نفسه!!

إذاً لا مبرر للطلب.. وحتى لو فعلنا فإننا لن نحصل على شيء!

أقر جميع المشاركين في الاجتماع هذا الرأي.

وفي ختام الاجتماع وقع الاختيار على ثلاثة ضباط كنت واحداً منهم!

وعقدنا - نحن الثلاثة - عدة اجتماعات بعد ان زودنا بصلاحيات ووضعت تحت تصرفنا ميزانية مناسبة.. وضعنا خطة تتلخص بـ:

١ - مراقبة كافة القياديين العراقيين مراقبة جيدة جداً، وقد أوكلت المهمة الى أحد الزملاء، وطلب منه:

رفع تقرير يومي عن نشاط واتصالات جميع القياديين (حوالي ٢٥ شخصاً) كان المطلوب مراقبتهم ٢٤ ساعة من ٢٤ ساعة!

أكثر من هذا وضعت تلفوناتهم تحت المراقبة في المكاتب وفي المنازل وحتى في المزارع الشخصية أو الشقق التي يملكونها لاقامة سهرات (خاصة)!

٢ - مراقبة موظفي السفارة السوفياتية لمعرفة × الذي أوصل المعلومات الى الاستخبارات العسكرية الصدامية!

هذه المهمة - مهمة مراقبة سفارة موسكو في بغداد انيطت بي!! وسرعان ما انصرف كل منّا الى مهمته بكل همة ونشاط!

لم تكن المهمة سهلة.. بل كانت معقدة وشائكة.. فقد كانت السفارة السوفياتية

تمثل الاتحاد السوفياتي.. وكان الاتحاد السوفياتي قوة عظمى.. بل كان يناطح: الولايات المتحدة الأمريكية!!

وكان الكي. جي. بي. الشريان الحيوي للاتحاد السوفياتي بل ذراعها الأساسي!

وكان الكي. جي. بي. دولة كبرى يتحكم بدولة كبرى!! والمعروف ان كل أجهزة مخابرات العالم تعتمد على العناصر المحلية التي تدخل السفارات الأجنبية بحجج:

- تصليح هاتف!
- أو تمديد أسلاك الكهرباء.
- أو لغرض الترميم.. الخ!

وكانت السفارة السوفياتية تعرف هذه الحقيقة المكشوفة ولهذا فإنها: استعانت بموظفيها وعناصرها لكل ما تحتاج اليه في داخل مبناها، وبالتالي يستحيل دخول أي شخص الى داخل المبنى المحصن بدروع عناصر الكي. جي. بي!!

أخيراً لجأنا الى اتباع عدة طرق بينها زرع الفنادق الكبرى بعناصر مدربة للمراقبة وكانوا جميعاً يعرفون: كل موظفي السفارة السوفياتية! كل الخبراء العسكريين السوفيات! معظم رجال الأعمال ومدراء الشركات والمؤسسات السوفياتية العاملة في العراق..

أما كيفية المعرفة فتمت بالاطلاع على أشرطة (فيديو) وألبومات صور تضم: الجيش الروسي المطلوب رصده!!

المعجزة!

وعندما اتصل بنا أحد عناصرنا مؤكداً بأنه ضبط دبلوماسياً روسياً مع عراقي مجهول

- لحد تلك اللحظة.. غمرتنا بارقة أمل في تحقيق: المعجزة!

تحقق معجزة تكشف النقاب عن أسرار أدهشتنا!

(ص) العراقي الذي اختفى في (مطعم العش الذهبي) وكأنه فص ملح ذاب في قعر بحر، لم نجد صعوبة في معرفة هويته بعد ان عرفنا: سيارته..! والتقطنا له عدة صور مع الدبلوماسي السوفياتي الذي عرفناه هو الآخر بعد مراجعة ملفه الموجود عندنا!

بعد التحري والتدقيق تبين ان (ص): ضابط في الاستخبارات العسكرية! وأن

سيارته الشخصية ليست ملكه، بل عائدة للجهاز نفسه! ألقينا القبض عليه في داره، دون أشعار دائرته العسكرية! وتوليت شخصياً التحقيق معه!

الخائن!

قلت له بهدوء: أنت خائن وجاسوس.. خنت الوطن وتورطت في عملية تجسسية..!

ردّ عليّ قائلاً: أنا أخدم الوطن ولا أخونه!

قلت له:

- لدينا دليل دامغ، معزز بالصور السينمائية والفوتوغرافية انك على صلة مشبوهة بـ(س) الموظف بالسفارة السوفياتية!

لم يزد على ان ردّ بمنتهى الهدوء قائلاً:

- أسألوا دائرتي.. فأنا موظف!

وخلال التحقيق أخبرنا ان: (س) الموظف في السفارة السوفياتية هو مجند لصالح الاستخبارات العسكرية للنظام العراقي، وأنه هو (ص): عضو ارتباط معه!

بعد ان ثبت لنا ان معلوماته سليمة، أطلقنا سراحه.. وفي اليوم التالي توجهت الى (الشعبة الرابعة) في (الاستخبارات العسكرية).. استقبلني مدير الشعبة وفاتحته بالموضوع.. وما لبث ان ضغط على زر جرس مكتبه ليطلب استدعاء الضابط (ع)..

وعندما حضر الضابط أوعز اليه احضار ملف (س) وبعد الاطلاع على الملف تبين انه يعمل لصالح الاستخبارات منذ عدة سنوات، وعن طريقه تم الحصول على (الشيفرة) الخاصة ببرقيات السفارة السوفياتية! وعن طريقه تم تجنيد واحد من كبار ضباط القيادة السوفياتية من العاملين في القوة الجوية!

وهذا الضابط السوفياتي الرفيع هو الذي أبلغنا المعلومات التي حصلت عليها السفارة السوفياتية! لكنه لم يخبرنا لحد الآن عن الطريقة التي تمّ فيها الحصول على المعلومات!

لم أبلغ المجموعة التي أعمل معها، وطلبت منه ان يحصل لنا على الطريقة التي يعتمدونها.. وهل لديهم عميل معروف.. ومن هو؟

لم نحدد موعداً، غير اننا اتفقنا على ان القضية حيوية بل خطيرة!

أعددت تقريراً مقفلاً عن نشاطي مع مجموعتي والمعلومات التي توصلنا اليهـا.. وطلبت ايقاف مراقبة المسؤولين العراقيين لأننا توصلنا الى خيوط مهمة!

رفض الضابط المكلف بالقضية رأيي! وقال: اننا لم نتوصل الى معرفة المصدر! ولم نعرف الطريقة التي حصل بها الجهاز الروسي على المعلومات! وأعلن ان الاجراءات ستستمر حتى التوصل الى كل الخيوط! أيد الآخرون رأي الضابط المسؤول..

ورحت أتابع العملية مع الاستخبارات العسكرية وذات يوم وصلنا نبأ مثير!

الأشعـة.. اللـغـز!!

وصل تقرير من (س) ان ثمة جهاز تنصت في السفارة السوفياتية في بغداد هدفه الأساسي: التجسس على (القصر الجمهوري) عبر تسليط أشعة تنقل الأصوات من الداخل الى الجهاز ثم: تسجلها وتترجمها وترسلها بـ(الشيفرة) الى روسيا!! بعد ذلك تم وقف الاجراءات الأخرى كافة! واقترح أحدهم:

ايفاد أحد الضباط العراقيين الى موسكو بموجب علاقات التحـالف القائمـة بين البلدين، واستغلال أحد بنود البروتوكول الأمني بهدف: دراسة كيفية التجسس عبر تسليط الأشعة!! ثم تم رفع مذكرة نهائية الى المدير مع توصية بـ:

- نقل السفارة السوفياتية الى مكان آخر لتجنب مثل هذه العملية!

وصدر أمر بتملك الأرض الواقعة قرب السفارة والمحيطة بها ومن ضمنها السفارة! خصصت بناية جديدة ثانية للسفارة السوفياتية، وقبيل تسليمها الى السفير: زرعت المخابرات العراقية أجهزة تجسس وكاميرات في أرجاء المبنى الضخم!

غير ان الروس عندما تسلموا البناية: أحسوا باللعبة الصـدامية!! وسـرعان مـا (استـوردوا) عمالاً من روسـيـا بحجة إعـادة صبغ المبنى وتـرميمه.. وبـاختصار: «خربوا» و«أفسدوا» كل عملنا المضني!!

غير اننا عدنا واستعنا بعميلنا لزرع أجهزة تجسس حديثة مستـوردة من الشركـة الفرنسية المعروفة: تومسن.

وبقي جهاز مخابرات النظام العراقي يعمل بنشاط بهذه الطريقة!

عملاء صدام في الاتحاد السوفياتي كانوا أوفياء، فقد ظلوا يزودوننا بكافة المعلومات العسكرية السرية الروسية الى أمد بعيد، وحتى ما تلتقطه الأقمار الصناعية من صور تجسسية للدول الأخرى!

ترى هل عرف العملاء الروس: موعد الحرب؟..

العملاء الصداميون لا يزالون في أعلى مستويات القيادة الروسية.. بعد هذا لا أحد يستغرب انهيار ما كان يسمّى بـ: الاتحاد السوفياتي!.

تفاصيل محاولة اغتيال صدام في رئاسة مخابرات نظامه «١٩٨٤»

وضاح الشيخ خطط للعملية الجريئة

كلمة السرّ: العم قادم!

لعب X دوراً بطولياً في العملية

فجأة لعلع الرصاص، بعد ان كان الهدوء يغلف المدخل الرئيس لجهاز مخابرات النظام، استغرق اطلاق النار نحو خمس دقائق كانت عصيبة، وصعبة، وعرفنا ان العملية التي خططنا لها قد بدأت!

توجه الضباط المشاركون الى (مقر الرئاسة)!

أما أنا فقد جلست استمع الى الحادث في جهاز اللاسلكي كنت في منتهى القلق، مؤملاً نجاح العملية بـ.. مقتل صدام..

لكن الذي صدمني انني سمعت عبر الجهاز ان (العم) بخير، والسيارة التي كان يركبها والتي أمطرت بالرصاص كانت (مدرعة) مقاومة للرصاص..

سمعت أيضاً عبر الجهاز برقية موجزة موجهة الى: القصر، مديرية الأمن الخاص.

تقول البرقية ما معناه:

تم اطلاق الرصاص من قبل (حرس المخابرات) على الموكب مما أدى الى مقتل ثلاثة من أفراد الحرس الخاص وأربعة من أفراد حرس المخابرات.. وأن (الرئيس..) بخير..

عندها تأكد لي ان العملية فشلت، توجهت فوراً الى الرمادي ـ مدينتي ـ لكي أكون في مأمن قبل كل شيء ولأستعد الى الهرب اذا لزم الأمر . .

وفي طريق الرمادي رحت استرجع تفاصيل ما مرّ ! لم يكن الولاء مطلقاً لصدام وأخيه ـ نصف الشقيق : برزان حتى في داخل جهاز مخابرات النظام المعقد الشائك !

فحتى داخل هذا الجهاز القمعي الرهيب هناك من يتمنى الموت لصدام وتواري نظامه في مزبلة التاريخ !

بل يمكنني أن أجزم أن هناك الكثيرين ممن أطلعوا على جرائم النظام، انطلاقاً من أقبية هذا الجهاز الدموي يتمنون ان يموت بإحدى الوسائل التي يميت فيها من يعارضه !

لقد وعى عدد من عناصر هذا الجهاز وفي مقدمتهم وضاح الشيخ وآخرون ان صدام يعمل لمصلحة اسرائيل والغرب ـ خلافاً لكل ما تنعق به أجهزة اعلام نظامه ليل نهار .

لقد قال وضاح الشيخ :

اننا كنا ولا نزال نسير في طريق خاطىء، فإن لم نكن قوميين، فلنكن وطنيين . . لقد مارسنا كل ألوان القتل والتعذيب ضد ابناء الشعب وآن الأوان لكي تستيقظ ضمائرنا فلنعترف بأخطائنا ولنصحح ما يمكن! كفانا ممارسات قذرة وسكوتاً لا مبرر له، خاصة، وان عصابة (أبي طبر)، التي يديرها صدام قد انكشفت!

هكذا بدأ (وضاح الشيخ) وعدد من رفاقه الأعداد للعملية، واعتذر لأنني سأقدم الضباط العاملين في اسماء مستعارة والسبب معروف . .

هنا لا أذيع سرّاً إذا أكدت انني كنت أحد أفراد هذه المجموعة التي فقدت أثنين من عناصرها اثناء شروعهم بالتنفيذ . .

كنت أيامئذ قد شرعت بالدراسة في كلية الهندسة/ قسم العمارة بجامعة بغداد .

بدأ قائد المجموعة يملي علينا ملاحظات من خلال دراسته الوضع العام، مبيناً ان تصفية صدام حسين يمكن ان تفتح الطريق لانقاذ العراق ومما قاله :

ـ ان تصفيته يمكن ان تتم :

(١) داخل (القصر الجمهوري) وهذا مستحيل لصعوبة ايجاد عناصر تعمل معنا من الموجودين في (القصر) .

(٢) داخل طائرته المروحية (الهليكوبتر) بتوجيه صواريخ وهنا لا بد من تهيئة أحد أو بعض ضباط (اللواء ١٤٦ صواريخ) الخاص بحماية بغداد . .

وهذا اللواء يتمركز حول بغداد وفي كل وحدة (بطارية) خريطة تتضمن تحركات (صدام) .

لدى مناقشة هاتين الخطتين قال أحد المشاركين في الاجتماع :

انني قادر على تجنيد أحد عناصر الحماية في (القصر الجمهوري) لكن من الصعب جداً ان يستطيع أحد أفراد الحماية قتله، الا اذا كان من مرافقيه، وهنا لا داعي لنقاش الموضوع، فالمعروف ان مرافقيه هم من أولاد عمه أو من أقربائه المباشرين .

غير ان تجنيد أحد أفراد (حمايته) قد يفيدنا بشيء واحد، وهو اننا نستطيع عن طريقه ان نحصل على معلومات عن تحركات الموكب الخاص بصدام حسين . .

عند إثارة هذه النقطة تدخلت وقلت :

أعرف أحد ضباط السيطرة في (القصر الجمهوري)، ووظيفته حساسة فهو الذي يشرف على اتصالات الموكب اثناء خروجه، أي أنه يعرف حتى طريق موكب صدام، لأن كل الاتصالات تمر عن طريق السيطرة .

هنا سألني رئيس المجموعة :

ـ ما هي علاقتك به . . والى أي مدى تعرفه؟

قلت: أعرف أخاه معرفة وثيقة وهو صديق حميم وتعرفت عليه عن طريق أخيه . وعندما كنت في باريس جاء هو وزوجته في زيارة وقد تحملت نفقات اقامته ومصروفه ولهذا فأنني أؤثر عليه واضافة الى هذا فأنني أعرف فيه نقطة ضعف وهي عشقه للمال .

قال: اذن فلنتحرك عليه فوراً .

قلت: سألتحق غداً في (قاطع الرشيد) في محافظة (أربيل) بالشمال، ولكنني سأتصل به هاتفياً وأحدد معه موعداً .

عقب رئيس المجموعة بعد ان طلب مني ضرورة توخي الحذر، قائلاً :

لو نجحنا في تجنيد هذا الشخص، لاستطعنا ضمان نجاح العملية . . ولكن لا بد ان نحرص على اشباع نقطة الضعف التي أشار اليها (مزهر) وهي : المال!

ولا يوجد أي عائق، فبامكاننا صرف المبالغ المطلوبة من المبالغ المرصدة لعمل (الشعبة) تحت ستار عملنا . . في جميع الأحوال هذه مسألة لا تستحق النقاش لأنها، تحصيل حاصل . .

اضاف: لكني أفكر برسم خطة لتصفيته هنا أي في (رئاسة المخابرات) لدى قيامه

بزيارتها، وهي أسهل، حيث بامكاننا تنفيذها بأنفسنا.

سأله أحد الضباط :

كيف يمكن ذلك، ونحن لا نملك السيطرة على (شعبة الحماية) وهي احدى (شعب رئاسة المخابرات) مسؤوليتها حماية المسؤولين وحماية (الرئاسة) والحرس في التشريفات و(حراسة المداخل) الرئيسة وما شابه ذلك. اجابه رئيس المجموعة قائلاً :

هذه هي مهمة (مزهر) لأن (مدير الشعبة) صديقه، ومن ابناء منطقته (الرمادي) وزميل دراسته.

عقب قائلاً : ان هذا الشخص لا يعرف : لا صداقة .. ولا قرابة!

ولا أريد أن أزج المجموعة في مأزق.

بادرني أحد المشاركين قائلاً :

لديّ اثنان من اقربائي يعملون في (الشعبة) عنده، أطلب منه نقلهم الى (باب التشريفات الرئيسي) أي (التشريفات الخاص بـ برزان)..

أضاف : قل له : ان (التشريفات) الخاصة لها مزايا وخصوصيات وهدايا لهذا أريد منفعتهم المادية..

قلت بحزم : لا أريد أن أكلفه بشيء لمعرفتي الجيدة به منذ ١٩٧٦ عندما دخلنا الجهاز سوية، أعذروني..

وقاطعني رئيس المجموعة قائلاً : سوف أتولى موضوع نقلهم..

هنا اقترحت توزيع الأدوار بشكل دقيق، وطالبت بسرية العمل والارتفاع الى مستوى المسؤولية في حالة انكشاف أحدنا بحيث لا يقدم اسماءنا حتى اذا تعرض الى الموت.

اقتراحي حظي بموافقة الجميع.

رئيس المجموعة قال :

على (مزهر) التنسيق مع ضابط السيطرة في (القصر) بمفرده، شريطة ان لا نعرف أي شيء عن العملية، وعليه - ان استطاع - ان يجعل - الضابط - لا يعرف شيئاً مهماً، وعلى (×) ان يعمل مع أقربائه على انفراد بعد نقلهم الى (التشريفات الخاصة) اعتقد ان بأمكانهم لو تعاونوا معنا جيداً - تولي مهمة التنفيذ، ولحساسية موقعهم (الاستراتيجي).

وأضاف : لنجرب ان تكون اتصالاتنا - خيطية لئلا ننكشف.

والاتصالات الخيطية تعني ان كل عنصر مشارك لا يعرف عن المجموعة سوى الشخص الذي يتصل به.

طالبني رئيس المجموعة تحقيق الاتصال بأسرع وقت وتزويده بالنتيجة.

كان عليّ أن أنفذ نقل الحراس وعلى (×) أن يفاتحهم بالمهمة.

انتهى الاجتماع واتفقنا ان نلتقي مرة أخرى بعد أسبوع لتنسيق المواقف. في صباح اليوم التالي غادرت الى مقر وحدتي في (أربيل)..

ومن هناك اتصلت بـ(ضابط السيطرة) وقلت له أريد أن أمضي معه بضعة أيام في (بغداد) وسأقيم في فندق (الكاظمية السياحي) بسبب وجود - صديقة اتحادية - نسبة الى اتحاد النساء! - قدمت لتحضر مؤتمراً نسائياً!

ورجوته مساعدتي في حجز غرفة في هذا الفندق المزدحم..

قال لي : بكل سرور أبق على الخط! ورتب لي الحجز فوراً من هاتف آخر كنت اسمعه فقد طلب الحجز، بأسم القصر!

انهيت المكالمة بعد ان اتفقنا على اللقاء في ساعة معينة من اليوم اللاحق في الفندق نفسه..

وفعلاً وجدت اسمي في سجل الحجز وسلمت مفتاح الغرفة ٢٤ في الطابق الثاني وجاءني (الضابط) قبل الموعد المحدد، وفاجأته قائلاً : لك هدية مني!

سلمته ظرفاً يضم - ألف دينار - وكان في يومه (مبلغاً محترماً)!

فاتحته، فإذا به يرحب بالتعاون بشكل ايجابي مدهش!

قلت له : أريد أن تعطيني كل التفاصيل عن موكب صدام حسين،

تساءل : لماذا؟ هل هو انقلاب؟

قلت له : تصفية..

قال : وما هي حصتي ؟

قلت : أطلب المبالغ التي تريدها ؟

قال : أريد منصباً !

قلت : لك ما تريد.

قال لي : عندما سيخرج، سأتصل بك على الخط المباشر، وأترك الخط مفتوحاً

لتسمع جميع اتصالات اللاسلكي، وبالتالي فستعرف مسار الموكب الحقيقي.

سلمته مبلغاً اضافياً وهنا علق قائلاً:

- اعتمد عليّ.. وأنا أثق بك، لأنك من عائلة معروفة، وأنا أعرف أسرتك.

أبلغت المجموعة في أول اجتماع لنا..

كان الاجتماع قد تم في شقة تم تأجيرها في شارع الربيع بالكرخ.. وسارت الأمور كما رسمناها!

فلقد تم أيضاً نقل الحراس بجهود رئيس المجموعة الى (التشريفات الخاصة) وقام الضابط بمفاتحتهم وتجنيدهم. وتم الاتفاق على تنفيذ المهمة مباشرة.

طالبني رئيس المجموعة ان أجرّب صديقي، من باب (جس النبض)..

اتصلت به فاذا به يقول لي:

- أبق على الخط!

عرفت ان ثمة شيئاً يريد ان يخبرني به ثم قال:

- أعذرني اذا تأخرت عليك لأن (العم) سوف يزور (شعبة المأمون للحزب).

أبلغت رئيس المجموعة الذي كان بالقرب مني، ان يكلف أحد الضباط بالمرابطة في ساحة (الفارس العربي).

بدأنا نسمع جميع الاتصالات فعلاً!

كان اتجاه الموكب يسير على هذا الاتجاه:

شارع الزيتون ـ ساحة (دوار) الفارس العربي.

في الساحة الأخيرة كانت احدى السيارات قد قاطعت الموكب، كان فيها خمسة ركاب..

أوقفت السيارة، وفتش الركاب.. كنا نسمع التفاصيل في الجهاز..

تأكدنا من صدق صاحبنا خاصة وأنه عاد ليعطينا التفاصيل التي سمعناها بالجهاز عن السيارة التي قاطعت الموكب.

العم.. قادم!

في فجر أحد الأيام اتصل بي (ضابط السيطرة) وفهمت منه ان:

- «العم» سيزور مؤسسة السياحة!

كان هذا هو السرّ المتفق عليه.. اذن صدام سيزور رئاسة المخابرات وأكد لي بأنه سيسمعني كل شيء عبر الأجهزة!

قلت له: شكراً هذا يكفي الآن..

أبلغت المجموعة، واستنفرنا جميعاً..

أوضحت لهم ان (الحرس الموجودين في الباب الخارجي للمخابرات)، لن يبلغوا إلاّ قبل لحظات لقطع الطرق..

الآن جاء دور الحرس: عنصري التشريفات الرئيسة..

هنا بدأ قلقنا من فشل العملية وإلقاء القبض على الحرس، وما قد يتبعه من انكشاف المجموعة أو بعض عناصرها.

فكر رئيس المجموعة قليلاً ثم قال:

امكانية نجاح العملية ضعيف وذلك لكون موضع الحرس يبعد في حدود ٥٠٠ متر عن مدخل البناية، والأشجار ستعوق التنفيذ، اضافة الى ان حرس صدام سينتشرون في المكان..

ثمة احتمال ألا يكون موجوداً في (السيارة المدرعة) كما انه لا بد من دراسة تنفيذ المهمة:

- هل من المناسب ان تتم لدى دخوله من الباب الرئيسي؟ أم عند خروجه منها؟

ثم علق: في حالة التنفيذ ونجاته منها، ستدب الفوضى ويقتل عدد من الحرس بينهم عدد من عناصرنا.. ستكون نهاية محزنة!

لم يكن لدينا وقت نضيعه رغم هذه الملاحظات التشاؤمية!

درسنا الموقف ميدانياً فإذا بنا نكتشف انه لا يوجد في الباب الرئيسي سوى عنصر واحد من مجموعتنا في حين كان يفترض تواجد ستة أشخاص! اذا لا توجد صعوبة تذكر في التنفيذ!

الأوامر الصادرة تحدد ان أية حركة تبدو من أي شخص يطلق الرصاص عليه فوراً.

وبما ان عنصرنا متأهب فأنه سيطلق كل الرصاص المتوفر في رشاشته عسى ان يصيب (صدام) لأنه يعرف ان مصيره ـ هو ـ سيكون الموت.

قال رئيس المجموعة: اذا لم يقتل الشخص المنفذ أو يجرح يجب القضاء عليه قبل نقله الى المستشفى..

لا بد من الحذر في جميع الأحوال حرصاً على سلامة المجموعة أولاً، ولامكانية تكرار المحاولة أيضاً!

بعد فشل العملية اتصلت بأحد الضباط على هاتفه الخاص بأجابني بأنه متعب ويريد ان يذهب الى بيته..

صادف ان كان يوم التنفيذ: الأربعاء.

عرفت فوراً ان الأمور طبيعية..

وخرجت الى بغداد، وتوجهت فوراً الى منزل هذا الضابط.

كانت الساعة تشير الى العاشرة مساء عندما طرقت داره.. علمت منه ان الجميع بخير، غير ان التحقيق بدأ مع الموجودين في حراسة الأبواب الرئيسة، وان الذين ماتوا أربعة.. ولم يعرف الى الآن من الذي أطلق النار؟

سألني: كيف عرفت هذه الأمور؟

قلت: جلست استمع الى الجهاز، وعندما علمت بفشل العملية غادرت الى الرمادي..

استمرت التحقيقات طويلاً ولم تصل الى نتيجة، التحقيق توقف طويلاً عند (رئيس المجموعة) الذي توسط لنقل (العنصرين) المهمين ولم يثبت أي شيء..

وقبيل انهاء تفاصيل هذه العملية العملاقة يؤسفني ان أذكر ان قائدها الشجاع (وضاح الشيخ) قتل على يد الجلادين داخل سجن (أبي غريب) أواخر ١٩٩٠، فذهب الى وجه ربه شهيداً.

عبدالرزاق النايف

(السياسي والعسكري) وقف على سرّ صدام فصفاه!

صدام ومجموعته يعملون في خدمة جهات أجنبية تجسسية

شركة ألمانية مولت (حزب البعث العراقي) لاغتيال عبدالكريم قاسم!

في أحد أيام تموز/يوليو ١٩٧٨ اهتزت لندن والعالم لنبأ أغتيال سياسي وعسكري عراقي رفيع المستوى، كتب له ان يرأس أقصر حكومة في تاريخ العراق المعاصر.

اسمه: عبد الرزاق سعيد النايف.

وقد استغرقت حكومته الأيام الثلاثة عشرة الأخيرة من تموز/ يوليو ١٩٦٨. عملية الاغتيال تمت في وضح النهار ولم توفق السلطات البريطانية باعتقال سعدون شاكر الذي أشرف على العملية بالتنسيق مع عبد الحميد الخربيط.

وهكذا لحق النايف بحردان عبد الغفار التكريتي ضمن مسلسل التصفيات الصدامية لـ«الثورة البيضاء» وهو التعبير الذي اطلق على انقلاب تموز/ يوليو ١٩٦٨ الذي أدخل العراق والمنطقة بحمامات دم لم تنته فصولها حتى اليوم!

لقد صرح صدام حسين ذات يوم بأن ذراع العراق طويلة.. وها هو يثبت ان (أذرعه القذرة) بأمكانها ان تصل الى أي مكان، مهما بعدت المسافات وامتدت البحار والمحيطات!

ولكن لماذا هذا الحقد على هذا الضابط الشجاع، ذي السجل الوطني النظيف، والذي لولاه لما تمكن صدام وزمرته من الاستيلاء على السلطة بمثل تلك السهولة التي تمت بها؟

ما هي أسباب هذا الحقد الدموي ؟

عملاء مشبوهون

في الستينات ألقت السلطات المختصة القبض على مجموعة من المنتمين الى (حزب البعث العراقي) بينهم صدام حسين وناظم كزار وعبد الوهاب الغريري، عبد الحميد الخربيط وسعدون شاكر وطارق ميخائيل عزيز، وحسن علي العامري وغيرهم. واكتشفت الأجهزة المختصة ان لهؤلاء صلات مشبوهة بعدة جهات أجنبية، وأنه تم تجنيد بعضهم في ألمانيا الغربية، بينما جند آخرون بواسطة عناصر تعمل في الجامعة الأمريكية في بيروت والبعض الآخر يعمل في احدى المنظمات الماسونية في الولايات المتحدة..

وتوصلت الأجهزة الى ان قسماً منهم جندوا لأغتيال عبدالكريم قاسم، وأن المسؤول عن هذه الشبكة مهندس ألماني يدعى (باغوز) يعمل في شركة تراب ـ بارودي الألمانية، وقد استطاع تجنيد هذه المجموعة التي أنضم اليها بعض الذين كانوا يدرسون خارج العراق ومنهم سعدون حمادي وعبدالرزاق الهاشمي وصادق علوش وغيرهم.

استمرت الشبكة تعمل بلا عوائق حتى بعد سقوط قاسم وذات يوم تم اعتقال بعض أفراد المجموعة عن طريق الاستخبارات العسكرية بتهمة التجسس.

الجمعية الوهمية

روى لي أحد العاملين في الشركة تفاصيل كشف هؤلاء وسأطلق عليه اسم مشعل، قائلاً: كنت أعمل في الشركة التي يتكون اسمها من أول أسم لمؤسسيها وهما لبناني ويدعى البارودي وألماني ويدعى تراب، وكانت الشركة تتخذ من مدينة كولون الألمانية مقراً لها. وكان لها فرع في بغداد يعمل في مجال تنفيذ الطرق الرئيسية يتردد عليه مجموعة

من الشباب في مقر الشركة الكائن في محلة السنك ببغداد بينهم عبد الحميد خربيط وصدام حسين وناظم كزار وغيرهم وأضاف: ان الذي أثار انتباهنا ان هؤلاء لا يعملون مع الشركة باستثناء (خربيط) الذي يعمل بعض أقربائه كمقاولين ومتعاقدين وذات يوم وكان باغوز ـ مسؤول الشركة غائباً زارنا شخص يدعى (لويس) وقيل لنا انه مدير عام الشركة وقد طلب (باغوز) الذي كان يومئذ في الحبانية، وبعد ان أحضرت (باغوز) شخصياً قام هذا بجمع هؤلاء الشباب، وكان يجيد اللغة العربية فسألته:

ـ ماذا يريد المدير من هؤلاء الشباب الذين لا صلة لهم بالشركة؟

أجاب: لقد أسسنا جمعية خيرية لمساعدة الطلبة في إكمال دراساتهم في الخارج والسيد لويس يتولى ادارة هذه الجمعية.

وبعد ان تم ابلاغ الشباب، جاءوا فعلاً الى صالة فندق يقع بالقرب من دار الاذاعة في الصالحية واجتمع بهم، ولا أعرف تفاصيل ما جرى خلال الاجتماع غير انني شعرت أنهم عندما خرجوا حرصوا على الخروج متفرقين، وبشكل سري، ولم أفكر بشيء مريب، كنت بسيطاً ويهمني ان أعيل أسرتي. بعد ذلك بثلاثة أيام طلب مني (باغوز) مرافقته الى مدينة (هيت) الواقعة على بعد ٦٠ كيلومتراً عن الرمادي. وهناك زار أحد البيوت ليخرج منها بعدة صناديق خشبية محكمة الاغلاق عدنا بها الى بغداد حيث قام بتسليمها الى شخص في الأعظمية لم يسبق لي رؤيته يدعى، محمد.

كان (باغوز) يتصرف بمنتهى الحذر وعندما سألته عن محتويات الصناديق الثقيلة،

قال: انها مساعدات تمنح للمحتاجين.

قلت له: لماذا هذا الحذر والخوف إذاً ؟

أجاب: اننا لا نريد ان نتصرف بغرور، ونكشف للناس اننا نمن عليهم بتقديم مساعدات لهم، لهذا نحرص على التكتم والسرية، وهذا ما يؤكد عليه دينكم الحنيف..

قلت له: بارك الله فيكم، انكم انسانيون، خيرون.

قال: تقديراً لجهودك الطيبة في العمل معنا باخلاص، قررت منحك مخصصات خاصة، اضافة لمرتبك الشهري.

شكرته كثيراً على موقفه النبيل، ولم تمض سوى شهور حتى حدثت محاولة اغتيال عبد الكريم قاسم أواخر ١٩٥٩.

بعد تلك القضية التي هزّت العراق لم أعد أرَ أحداً من هؤلاء الشبيبة، ولا أي شيء عن المساعدات الانسانية ولا عن الجمعية!

أذكر أنني طلبت من (باغوز) مساعدة لابن أخي ليواصل دراسته في الخارج فغضب، وعاتبني لأنني أتحدث في المقاهي عن أعمال الخير والبر التي يقوم بها هذا الألماني ـ الانساني. قال لي:

ـ ان ما تفعله خطأ كبير، لأن الحكومة ترفض مثل الأعمال الخيرية، وهي تزجّ بالسجن كل من يقدم المساعدات الى الناس!

دهشت وقلت له :

ـ أعذرني.. ولكنني أريد أن تساعد ابن أخي، فهو بحاجة الى مساعدة.

ـ طيّب.. أمهلني قليلاً.

مرت الأيام وغادر (باغوز) بغداد وفي عام ١٩٦٤ اعتقلت من قبل رجال الأمن وتم التحقيق معي حوله وحول شركة تراب ـ بارودي.

صدام والتجسس

لقد حقق معي ضابط يدعى صعب الحردان، كنت خائفاً جداً، فقد أمضيت ثلاثة أيام تعرضت خلالها الى التعذيب بلا مبرر.. واثناء التعذيب كنت أسمع كلمة قاسية تتردد هي: جاسوس!

قلت للحردان بعد ان لمست طيبته ولطفه مجيباً على أسئلته المؤدبة:

ـ دخيل يا سيدي! أنا لم أفعل شيئاً يستوجب هذه الاهانات والتعذيب.. فماذا تطلبون مني بالتحديد؟

قال: أجلس.. لا تخف.. آسف لما لحقك من أذى، كل ما أريده منك ان تحدثني بصراحة، وبلا خوف وبأقصى ما تعرف من تفاصيل.

ـ يا سيدي.. أنا حاضر لكل ما تطلب.. لم أرتكب شيئاً وأنا صاحب عائلة.

قال الضابط بهدوء :

ـ أجلس.. ماذا تعرف عن (باغوز ولويس) وشركة تراب بارودي؟

أجبته: يا سيدي أنا سائق بسيط.. لا صلة لي بهم.. كنت أعمل معهم لأعيل

أسرتي..

قال: هل من المعقول أنك اشتغلت معهم دون أن تعرف علاقاتهم وأصدقاءهم؟

ـ يا سيدي، أنهم يعرفون حشداً من الناس، أعرف قسماً منهم، وهم يقدمون مساعدات للطلبة لكي يواصلوا دراساتهم في الخارج، ويساعدون الفقراء وقد رأيت ذلك ولمسته لمس اليد..

هنا قاطعني (الحردان) وأراد أن أحدثه بشيء مفصل..

قلت له: ان كثيراً من الشباب يجتمعون بباغوز.

ـ هل تعرفهم اذا رأيتهم ؟

ـ نعم بالتأكيد..

ـ وهنا أخرج من ملف كان بين يديه مجموعة صور قدمها لي..

ـ كان من ضمن الصور صورة لصدام حسين وناظم كزار وغيرهم. أكدت له ارتباطهم بالألماني، فشكرني وقدم لي مغلفاً يضم ٥٠ ديناراً، هدية وقال:

ـ أعذرنا مرة أخرى لما لحق بك من أذى.

هنا سألته مرة أخرى: يا سيدي.. لِمَ كل هذه الأسئلة، فما زلت لم أفهم ما حصل.. لعلي أقدم لكم خدمة ما..

أجاب الضابط بهدوء :

ـ ان باغوز ولويس قد دربا هؤلاء الشباب للعمل لحساب الغرب..

وعندما لاحظ أنني لم أفهم المقصود بشكل دقيق، قال:

ـ أنهم جواسيس لاسرائيل.

في تلك اللحظة تذكرت رحلة (هيت)، فشرحت له حكاية الصناديق، فأكد لي أنها أسلحة جاءت بها تلك الجهة لضرب قاسم.. وكان الشباب يزعمون انها جاءت عن طريق (حزب البعث) في سوريا، غير ان الحقيقة باتت معروفة.

أصبح صدام حسين وناظم كزار موضع اتهام نتيجة الوثائق الدامغة التي عثرت عليها السلطات المختصة ـ وخاصة جهاز الاستخبارات العسكرية، يقول عبد الرزاق النايف الذي كان على رأس هذا الجهاز:

ـ عندما تم اعتقال هذه العناصر لأول مرة في الستينات وضعت الاستخبارات خطة قضت بمراقبتهم ومتابعة اتصالاتهم وامتداداتهم حتى خارج العراق، وتم ايفاد خبراء

قهوة على الطريقة العربية في المضيف . .

أغلب الموجودين كانوا من البدو الرحل، فكانت الأحاديث تدور بشكل يناسب بساطتهم، يومها لم يكن في داري تلفون .

وكانت الساعة قد اقتربت من العاشرة مساء عندما سمعنا هدير عجلات سيارة توقفت أمام دارنا وهرع أحدنا ليستقبل الضيف القادم، واذا به (زبن حمود مشرف) - ضابط الاستخبارات العسكرية في قاعدة الحبانية . .

وبعد الترحيب به، أخبرني أنه قادم من عبدالرزاق النايف، ويحمل رسالة منه، ويريدني أن أكون في الساعة الثامنة صباحاً من اليوم التالي في داره ببغداد .

بكرت في في صبيحة اليوم المحدد، لمعرفتي بأهمية الموضوع . . وفي الساعة السابعة إلّا ربعاً كنت عند النايف . . وكان الرجل ينتظرني فعلاً حيث تناولنا الفطور سوية . .

كنت أترقب أن يبدأ الحديث . وما لبث ان قال :

- أنت تعرف رأيي بخصوص مجموعة الشباب الذين جئتَ أنتَ من أجل التوسط لاطلاق سراحهم، أو التخفيف عنهم . .

- قلت: طبعاً . . أذكر أنك كنت قد أخبرتني بأنهم سيعدمون ليكونوا عبرة للآخرين، وأنهم أشبه بالسرطان الذي لا بد من استئصاله .

قال: طلبتك لأخبرك بأسف، أنه سيطلق سراحهم، رغم أنفي . . ورغم أنف السيد رئيس الجمهورية . .

وعندما لاحظ النايف استغرابي واصل الحديث قائلاً :

- ليلة أمس كنت مع الرئيس ووزير الخارجية وحدث الآتي :

استقبل وزير الخارجية القائم بالأعمال الأمريكي في بغداد وطلب الوزير من الدبلوماسي الأمريكي الاسراع بطلب العراق للمساعدات الأمريكية وقد ردّ عليه القائم بالأعمال بما يأتي :

- ان الادارة الأمريكية في البيت الأبيض مستاءة جداً من الحكومة العراقية، ولهذا فأنها ستؤجل النظر في الطلبات العراقية إلّا بعد أن تثبت بغداد حسن نواياها بالكف عن تأييد عبد الناصر والقومية العربية .

وأن وجود عناصر من (حزب البعث العراقي) في المعتقلات والسجون يدلُّ على ان القيادة في بغداد لا تحترم الرأي وهذا يجعل بعض أعضاء مجلس الشيوخ يعارضون

تقديم المعونة الأمريكية الى بغداد .

وهنا طلب وزير الخارجية تحديد أسماء المطلوب أطلاق سراحهم .

ردّ الدبلوماسي الأمريكي قائلاً :

- بغداد تتهم بعض (شباب البعث العراقي) انهم عملاء لأمريكا، وهذه تهمة خطرة، ولهذا فأن واشنطن ترجو اطلاق سراحهم . . وبهذا فإنها تثبت حسن نواياها، وعندها سيكون هذا مشجعاً على التعجيل في تقديم المعونة المطلوبة .

واصل النايف حديثه الخطير قائلاً :

طلبني الرئيس الى القصر الجمهوري في حوالي الثامنة مساء وعندما وصلت كانت امارات القلق بادية على وجهه، وكان يتطلع الى وجهي لحظة والى تقرير وزير الخارجية الموجود بين يديه لحظة أخرى . ثم قال :

- اسمع يا عبدالرزاق . . هذه اشارة واضحة الينا عن هذه المجموعة الضالة التي كشفتموها . . اننا لا نريد اطلاق سراحهم . . وها هي الضغوط تأتينا، في وقت حرج وحساس . . ها هم الأمريكان يجعلونهم ورقة يساومون بها علينا! فكيف ترى؟

قلت له - والحديث لا يزال للنايف :

- أريد من وزير الخارجية ان يعيد الكرة ثانية، ويطلب منه تحديداً أدق . . لأن بين معتقلي - البعث العراقي - من هو متهم بالقتل وبينهم من هو متهم بالاساءة الى السلطة أو السرقة . . فالرجاء تحديد الأسماء .

قال وزير الخارجية: لقد حدّد القائم بالأعمال المتهمين بالتحديد فقال :

- أنهم المتهمون بالتجسس .

كان الرئيس يرغب الحصول على المعونة بأسرع وقت ممكن لأسباب تتعلق بتدني أسعار البترول وسوء المحاصيل الزراعية المحلية، وغير ذلك، لهذا كله طلب من وزير خارجيته استدعاء الدبلوماسي الأمريكي مباشرة .

قال النايف: أريد أن تفهم ان هؤلاء الشباب عملاء وخونة ولم أكن مخطئاً عندما قلت لك أنهم جواسيس . . أنني مضطر لاطلاق سراحهم .

ودارت الأيام دورتها واذا بالنايف يشارك هؤلاء الذين تأكد له أنهم خونة وجواسيس ثم حدث ما حدث!

الى بيروت لمتابعة نشاطهم ونشاط من يقف وراءهم . وتبين بعد ذلك انهم مرتبطون بجمعية (ماسونية) لها نشاط واسع في الجامعة الأمريكية ببيروت، والجامعة الأمريكية معروفة بأنها ملتقى للطلبة العرب من كل حدب وصوب .

وبعد ان أكدت لي هذه المعلومات سفارتنا العراقية في لبنان قمنا بحملة اعتقالات شملت: صدام حسين، عبدالحميد الخربيط، حسن العامري، سعدون حمادي، ناظم كزار . .

حملة الاعتقالات هذه شملت مجموعة من الشباب ممن لم تكن لهم صلة بالبعث العراقي، وكان بعضهم يواصل دراسته في جامعات أجنبية وبينهم: عبدالرزاق الهاشمي، صادق علوش، أعتقلنا هؤلاء لصلاتهم بجهات أجنبية مشبوهة .

أضاف النايف قائلاً :

- أن الذي أثار قلقي - كما تعرف أنت توسط الناس لاطلاق سراحهم، وكنت أنتَ بينهم، لقد قلت في حينها:

- أنهم تافهون وخدم للأجنبي ولا مبرر للتوسط لهم .

أضاف محدثي السيد × قائلاً:

- لقد أتصلت به هاتفياً ورجوته ان ألتقي به في الساعة العاشرة من صبيحة اليوم التالي في مقر مديرية الاستخبارات، ورافقني في الزيارة صديق قديم للنايف سبق وأن عمل في قاعدة الحبانية، وأحد أطفالي الذي أخذته معي لزيارة طبيب، أضاف قائلاً:

- كان النايف يحترمني كثيراً، ولا يرد لي طلباً، ودهشت عندما رفض طلبي!

عندما دخلت مكتبه بصحبة صديقه رحب بنا، وقال انه تفرغ لنا، وأرجأ كل مواعيده الأخرى، إكراماً لنا، خاصة وأنها تتم بعد غياب طويل .

وواصل حديثه قائلاً:

بعد ان تناولنا الشاي قال: اننا مدعوون لتناول الغداء في داره بحضور سعيد صليبي - آمر الانضباط العسكري المعروف .

قلت لنايف: أريد أن أكلمك بالموضوع الذي جئنا من أجله .

أجاب على الفور: أتمنى أن لا يكون متعلقاً بأولئك الشباب التافهين، الضالين .

قلت:

انه بخصوصهم بالتحديد .

غضبت بسبب رده السلبي، فلاحظ ذلك عندما نهضت مستئذناً بالخروج، وقال:

- سنتحدث في البيت على مائدة الغداء بهدوء . . فلا تتعجل الغضب . .

في داره واصل النايف الحديث بحضور الصليبي قائلاً:

- لو كانت جريمة هؤلاء الشباب قتل أحد أولادي، وجئت لتتوسط لهم، لأطلقت سراحهم، وكذلك لو كانوا متهمين بمحاولة انقلابية، ولكن المسألة معقدة فتهمتهم: العمل لصالح الأجنبي . .

وبكلمة أدق أنهم: جواسيس . .

لقد أطلعت الصليبي على ملفهم، وبأمكانك ان تستفهم منه الآن . .

أيّد سعيد الصليبي بشدة ما قاله النايف .

وهنا عدت لأرجوه الرأفة . . فقال:

- أعدك بأنني سأقطع رقابهم، ليكونوا عبرة للآخرين . . أرجو أن تفهم ان هؤلاء خونة، وهم لا يشكلون خطراً على العراق فحسب، بل على الأمة العربية جمعاء . .

قال هذا وقام ليقبلني وأضاف:

- لم أقم بهذه العملية، إلّا بعد أن أطلعت رئيس الجمهورية عليها، والذي استغرب وأكد أنه لم يتوقع ان يكون بين شبابنا مثل هذه العناصر الرخيصة . . وأعرب عن ألمه لوجود مثلهم وعزا السبب الى قلة الوعي وانعدام التربية الوطنية والقومية. وأكد ضرورة مكافحة مثل هذه الجرائم باستئصال مثل هذه الأمراض من جذورها .

مفاجأة !

كان عبدالرزاق النايف قد قطع عهداً على نفسه بالقضاء على هؤلاء الشبيبة، غير ان الرياح جاءت بما لا تشتهي السفن، فلقد جاءت الأوامر صريحة وهي كما اعترف لصديقه: اطلاق سراحهم!

يقول هذا الصديق :

بعد ذلك الغداء العاصف بعشرة أيام، كنت جالساً في حديقة داري، كان الجو حاراً جداً . .

وكنت أجلس مع بعض أفراد العشيرة، من الذين جاءوا للسمر ولشرب فنجان

سرّ التحالف

في ١٨ آذار/مارس ١٩٧٧ كتب النايف في رسالة له الى صديقه (مشعل) من عمان، قائلاً:

ان تحالفي معهم عام ١٩٦٨ لم يكن: لا حبّاً بالسلطة، ولا بهم! كنت أريد القضاء عليهم مجتمعين، وبشكل قد لا يجعل لأحد مجالاً في التوسط لهم، ولممارسة الضغوط عليّ لأرحمهم... وعندما أرسلت أحد ضباطي الى منزل أحمد حسن البكر - حيث كانوا مجتمعين - لم أكن وحدي، بل كنت مع ابراهيم الداود وسعدون غيدان الذين أبلغوني بتفاصيل المؤامرة.. لقد قررنا ان نتظاهر بتأييدهم ثم الاطاحة بهم وتصفيتهم جميعاً في وقت لاحق.. لكن غيدان غدر بنا.. سوف أبقى أعمل من أجل انقاذ العراق منهم..

وفي مكان آخر من الرسالة كتب النايف قائلاً:

لقد اتصل بي عبدالحميد [الخربيط] وطلب ان يزورني، وبعد ان تمّ اللقاء قال: نريد ان نبقى أصدقاء.. لقد أبدى لي استياءه وتشاءمه من الوضع، أنني أعرف أنه لا يكنّ لي الاحترام أو الود ولكن عليّ أن أجرّب مع الجميع والأعمار بيد الله.

هذه فقرات من احدى رسائل النايف الأخيرة، ومنها يتبين انه كان يحسّ باقتراب الأجل، ولكنه أراد أن يجرّب كل الوسائل التي قد يؤدي أحدها الى القضاء على صدام حسين وزمرته الماسونية.

كان توقع النايف في محله، فلقد كانت نهايته على يد عبدالحميد الخربيط وسعدون شاكر كما هو مشهور.

حكايات مرعبة من سجون النظام العراقي..

سجن (بغداد الجديدة) لا يحتفظ بسجل بنزلائه لأنه لا أمل في بقائهم على قيد الحياة!

حكاية كريم حمود الحسن: ذوبوه في حوض (التيزاب الكيمياوي) بتهمة الاساءة الى صدام حسين!!

٣٠٠ إنسان في غرفة مساحتها ٧٠ متراً!

كان والدي يجلس أمام مضيفه عندما تقدم منه كريم حمود الحسن طالباً ان ينفحه مبلغاً ما، يشتري به كسوة لأطفاله.

أذكر هذا جيداً، فقد كان عيد الأضحى المبارك لسنة ١٩٨٨ على الأبواب.. وكريم شرطي من عشيرة (البوعلوان) من أهل مدينة الرمادي، يسكن بيتاً من طين، ويعيل أسرة كبيرة تتكون من خمس بنات وولد واحد.. كان كريم - الرجل الطيب - يعمل حارساً في محطة بنزين (الخالدية) الواقعة قرب مدينة الحبانية.

امتطى كريم دراجته الهوائية، بعد ان شكر والدي على المبلغ البسيط الذي سلمه له هدية للعيد، وعاد الى أسرته فرحاً مسروراً..

المشكلة أنه لم يصل داره! بل كان هذا آخر العهد به!

جاءت زوجته تبحث عنه في كل مكان دون جدوى! لكـأن الأرض ابتلعت هذا البائس!

مرّ عيد الأضحى ثقيلاً على بناته وأسرته، وأسف كل من يعرفه على فقدانه بهذا الشكل الغريب!

راحت زوجته تضاعف من عملها، خاصـة وأن مرتبـه البسيط قد قـطع بسبب انقطاعه عن العمل بدون مبرر، كما قالت دائرته!

كانت زوجته مربية أبقار، وتبيع الحليب لتساعد زوجها على مواجهة نفقات اعباء الحياة التي تتزايد يوماً بعد آخر.

شارك راشد ـ شقيق كريم وهو شرطي أيضاً ـ في البحث عن أخيه وراح يجول في دوائر الأمن والمخابرات والشرطة التابعة للنظام دون جدوى. وراح الأهل والأقرباء يضربون أسداساً لأخماس: فالبعض يعتقد انه غرق وآخر يعتقد انه انتحر وثالث يعتقد انه هرب بسبب قسوة الحياة ولكن لا دليل على ذلك ما دام جثمانه غير موجود!

واستجمع بعضهم شجاعته وقابل (علي المجيد) الشهير بالكيمياوي مـدير الأمن العام، ولَمْ يحصلوا منه على نتيجة!

وطلب أخوه مشرف ـ وهو مزارع ـ مقابلة صدام حسين ليشرح له مأساة العائلة، فأحال الطلب الى مديرية الأمن!

وهكذا لا تمرّ فترة إلّا ويقابل أحدهم مسؤولاً ولكن دون نتيجة.

البداية: قصر النهاية!

وبعد عام كامل من غياب (كريم) طلب مني والدي البحث عنه.. قال لي:

ـ جرّب يا ولدي، فزوجته المسكينة انهارت، ومن حقها ان تعرف مصير زوجها، فإن مات، فستقيم الفاتحة وتستقر الأمور على هذه النتيجة..

اقتنعت بالأمر، لأن كـريم كان انسـاناً مهـذباً، مسكينـاً لم يؤذ أحداً في حيـاته. وباشرت الاتصال بمن أعرفه من الضباط العاملين في الأجهزة الأمنية. بدأت بضباط الأمن فكـانت النتيجة سلبيـة، ونصحني ضابط (تكـريتي من الأسرة الحـاكمـة) ان أجرّب:

ـ جهاز المخابرات!

ذهبت الى صديق من ضباط المخابرات في الرمادي فقال:

ـ انصحك بأن تبحث عنه في معتقلات المخابرات العامة أي في (قصر النهاية).

قلت لـه هامساً: أرجو ان تحدّد الموضوع جيداً.

قال: انه معتقل هناك.. لا تخبر أحداً بذلك.

أجبته: هذا يكفي وسأتكفل معرفة مكانه.

كانت مسألة اختفاء كريم قد انتشرت، وتناثرت شائعات حوله منها انه اغتيل أو هرب...

غير ان كل هذا لم يثبط عزيمتي بالوقوف على حقيقة الأمر، كما وعدت والدي.

سجن بدون سجلات!!

وبدأت رحلة البحث عن كريم في سجون المخابرات العامة.. وقد يسرّ لي بعض الأصدقاء اكتشاف سجون مذهلة، كنت أعرف سجن قصر النهاية غير انني لم أعرف سجن منطقة بغداد الجديدة وهي تابعة لمديرية التحقيق!!

كنّا في نيسان/ابريل، كان الصيف قد بدأ مبكراً عندما دخلت الى السجن، قلت للمسؤول:

ـ أريد سجلات السجناء الموجودين عندك للاطلاع عليها.

ضحك، وردّ عليّ باستخفاف:

ـ سجلات؟ نحن لا نملك سجلات هنا!

سألته: ولماذا لا تمسكون سجلاً للمراجعة؟

أجاب: السبب بسيط، فالذي يدخل هنا لا يدخل السجل مهما كانت تهمته، لأنه منذ دخوله يعتبر في عداد الأموات! فلا مبرر لذكر اسمه!

شرحت للمسؤول مهمتي ورجوته مساعدتي في العثور على البائس، الذي أبحث عنه.

كان لمركزي في حراسة صدام حسين الأثر في فتح أبواب هذا السجن العجيب على مصراعيه أمامي.

دعا المسؤول شخصاً يدعى «أمير» . . كان هذا بشع الشكل، مخيفاً، قاسي النظرات وطلب منه مساعدتي.

قال لي أمير :

ـ سأفتح لك السجون الجماعية، فهي لأصحاب القضايا الخفيفة . . أدخلني قاعة لا تزيد مساحتها عن ٧٠ متراً مربعاً، قدرت عدد السجناء فيها بنحو ٣٠٠ !

كانوا مكدسين، ينامون بالتناوب بسبب ضيق المكان! تعلوا وجوههم الصفرة والبؤس، وبدا عليهم الأعياء الشديد، كانوا يئنون من شدة التعذيب والأمراض وسوء التغذية والقهر. ولمحت بعض الأوعية الحديدية التي كانوا يقضون بها حاجاتهم.

صرخ بهم أمير : سكوت !

وصمت الجميع خوفاً من هذا الجلاد الذي يعرفونه جيداً.

سألهم بخشونة: إن كان بينكم من يدعى كريم حمود فليرفع يده!

استمر الصمت، دلالة عدم وجود هذا الانسان.

هنا رجوت (أمير) ان يتركني ففعل، تقدمت من أحدهم حاملاً صورة «كريم» ورحت أسأل الحاضرين، لعل فيهم من يعرفه.

آثر معظم الحاضرين الصمت، خوفاً إلّا أن أحدهم نطق قائلاً:

ـ لماذا تبحث عنه، هل تريد القضاء عليه؟

قلت له بهدوء: إنه جيراني، وهو ربّ أسرة وكادح ولا أحد يعرف مكانه . . أنا أفعل هذا إكراماً لأسرته.

ردّ عليّ بعبارة لا أنساها أبداً:

ـ هل لا يزال ثمة أحد في هذا البلد من يعرف الانسانية؟ ان كنت تبحث عن أحدهم، فمن الذي يبحث عني، وعن الآخرين؟!

وعندما لاحظ تأثري لكلامه العاطفي اضاف قائلاً:

ـ أنا هنا منذ سنتين، بلا ذنب، تحملت أقسى أساليب التعذيب، حتى أصبحت أتمنى الموت!

ان حديثي هذا هو عبارة عن رغبة انتحارية، لأني أعرف هذا المجرم (أمير) ماذا سيفعل بي، لكنها فرصة لأوصل صرختي الى مسؤول ما!

هنا طلبت من (أمير) ان يخرج ويتركني . .

كانت الروائح الكريهة قد ملأت كل جسمي، ولكنني تحاملت على نفسي، وبقيت طالباً من بعض السجناء أن يرووا لي حكاياتهم!

حكايات عجيبة

قال أحدهم: نحن مجموعة من كبار السن هنا ـ كما ترى ـ لكل منا ولد أو أخ أو قريب هرب من العراق أو عارض النظام وسيق بنا هنا، فأصبحنا ضحايا! والمصيبة ان لكل منا زوجة وأطفال لا نعرف مصير أسرنا . .

تطلعت الى وجوههم المتيبسة فلاحظت ان أحدهم يتجاوز السبعين من العمر . . وبدا وهو غير قادر على الكلام، قال:

ـ لي ابن عسكري في القوة الجوية، وقد سافر الى اليونان مع مجموعة من زملائه في دورة عسكرية وكان يراسلنا بانتظام وفجأة انقطع عن المراسلة . . اتصلنا هاتفياً نسأل عنه، وكلمنا مسؤول الدورة فلم نحصل على نتيجة، وأخيراً عاد جميع زملائه غير انه لم يعد.

أساليب التعذيب

يضيف العجوز باكياً :

ذهبت الى مديرية الاستخبارات أبحث عن ابني وأطالبهم بإعادته، فكان ان زجّوا بي في هذا السجن منذ سبعة شهور، ولم يكتفوا بايداعي السجن، بل زجّوا بزوجتي أيضاً . . ما الذنب الذي جنيناه؟

سألتهم عن أساليب التعذيب التي يتعرضون لها، فقالوا:

١ ـ السير على الأسلاك الشائكة.

٢ ـ يوضعون في مياه باردة مجمدة شتاء، وساخنة جدا لا تطاق في الصيف.

٣ ـ ينظفون المرافق الصحية . .

تركتهم وقلبي يقطر أسى، وقلت لأمير: لماذا تعذب هؤلاء؟ ولا ترحمهم؟

قال: انني عبد، انفذ ما يطلب مني أولاً . . أما الرحمة فلقد اختفت من قلوبنا . .

قلت له: أرني ما تبقى من العجائب السبع!

قـال أمـيـر: سوف ترى الأهوال!

دخلنا ممراً يتكوّن من مجموعة أعمدة، وفي كل عمود كـونكريتي ـ اسمنتي بـاب ضيق، وداخل كل عمود انسان تحول الى بقايا شبح لأنه ملزم على الوقوف بشكل دائم!

كل عمود لا يزيد قطره على ٨٠ سم فيه انسان ينازع من أجل الحياة! في تلك الجولة السريعة اكتشفت وفاة ثلاثة أشخاص!

فتحنا باباً وإذا بنا نفاجأ بسقوط انسان.. ميت!

قلت لأمير: أسرع أطلب لنا طبيباً ليفحص هذا المسكين لعله لا يزال حياً.

ردّ عليّ بلا مبالاة: أنـه مـيـت..

قلت: أرفعوا جثته على الأقل!

أجابني: لا نرفع جثة واحدة.. بل ننتظر عدة وفيات!

رأيت في هذه الأعمدة مناظر مرعبة رأيت بشراً طالت شعور رؤوسهم ولحاهم، وتعيش معهم الصراصر والديدان وغير ذلك.

سألت جلادهم عن تهمتهم التي تستوجب مثل هذا التعذيب القاسي، فقال:

ـ هؤلاء تهمتهم التشهير بعائلة صدام حسين! أي شتم (العائلة الحاكمة)!!

ظللت أبحث عن كريم، أسأل هؤلاء ـ أشباه الأحياء ـ واحداً واحداً دون جدوى!

كان بعضهم قد فقد النطق، والبعض الآخر ينطق بصعوبة، وكـدت اتقيأ وأنـا أكتشف ان أحدهم يلفظ أنفاسه الأخيرة والديدان تنهش جسده الهزيل.

كان حشد السجناء كبيراً، وفي تلك اللحظات الدامية كان ضميـري يؤنبني وأنا أتصفح هذه الوجوه البريئة التي طمرت نتيجة نكتة أو تعليق أو وشاية كاذبة.

قاعة الأموات

قطع عليّ أمير تأملاتي الحزينة قائلاً:

ـ ما رأيك في دخول قاعة الأموات.. لعلك تجد فيها من تبحث عنه؟

دخلت القاعة فعلاً، مضطراً، وإذا بي أجد جثثاً بلا رؤوس!

ووجدت في القاعة إنساناً حيّاً، قال لي لعله صاحبك! حدثني هذا قائلاً:

ـ لقد عذبت عدة أشهر ثم أدخلت هذا السرداب المظلم!

رأيت في القاعة شخصين صامتين، حاولت أن أحدثهما فلم يردّا عليّ..

كان الظلام دامساً، فقلت لعلهما لم يشعرا بي، وتقدمت منهما وأنا أتعثر بين الجثث المرمية، والأطراف المقطعة هنا وهناك، وعندما دفعت أحدهما فوجئت بسقوط رأسه. وانسلاخه عن جسده!

ارتجفت ولم أستطع السيطرة على أعصابي، كـانت الرؤوس قـد قطعت حـديثاً، وركبّت على الأجساد!

انها طريقة من طرق التعذيب البشعة التي يتفننون بها.. كان السجين يصف لي تلك المناظر وهو يرتجف! وأوضح لي ان جريمته شتم صدام وتعرض لأمه التي يسمونها عبر أجهزة الاعلام: (أم المناضلين) وهي (أم الشقاة) وعبارات أخرى لا استطيع نشرها، لأنها معروفة في انحاء العراق.

الأحواض الكيمياوية

أخيراً قادني أمير الى قاعة أحواض التيزاب ـ الكيمياوي ـ في هذه القاعة وجدت مناظر أكثر بشاعة وأشنع! أحواض التيزاب تحول لون محلولها الى أحمر قـاتم نتيجة الأجساد البشرية التي ذابت..

رأيت عظاماً بشرية تطفو وبقايا هياكل انسانية.

في تلك القاعة عثرت على اثر للانسان الذي أبحث عنه!

فقد أكد لي مسؤول أحـواض التيزاب انـه يحتفظ بهويـات الأشخاص المـطلوب تصفيتهم..

وبعد ان راجعت الهويات وجدت هوية بأسم: كريم حمود الحسن!

كان المسكين قد توفي قبل ساعات فقط من دخولي القاعة! وقيل لي ان الجلادين أمروا باذابته في حوض التيزاب لأنه منذ اعتقاله لم يكف عن شتم صدام حسين!

أما (التهمة) التي أدت الى قتله بهذه الطريقة البشعة، فهي انه عندما عاد الى داره، كان مصاباً بالأسهال، فاضطر الى (التبول) قبيل ان يصل الى داره..

ومن سوء حظه انه قضى حاجته بجوار: جدارية لصورة صدام حسين!!

ألف ليلة وليلتان:
حكايات من سجن عدي صدام حسين!

دورة (تأديب) رهيبة لفريق رياضي خاسر!!

طفل في العاشرة من عمره طمر مع أبيه والتهمة: دعس سيارة (عدي)!!

عدي يتفقد ضحاياه أسبوعياً ويتلذذ بأوضاعهم المأساوية!!

عندما وصلت الى المكان المحدد، اصابني الذعر!

فلقد شاهدت أمامي مجموعة من الشباب، حليقي الرؤوس!! كانوا موجودين في حفر عميقة في باطن الأرض!

إذاً هذا هو سجن عدي صدام حسين؟

أجابني الشخص الذي قدمت له نفسي، وتربطني به معرفة مسبقة:

ـ نعم وهؤلاء الشباب هم أعضاء فريق كرة القدم العراقي، خسروا أمام فريق آخر، فعاقبهم (عدي) بأدخالهم في (دورة الضبط) في سجنه!

كنا في منطقة الراشدية التي يطلق عليها العراقيون اسم: امبراطورية عدي! هذه الامبراطورية تضم:

ـ قصراً شاهقاً لـ(ولي عهد) النظام العراقي.

- مزرعة كبرى .
- سجناً غريباً !!

عجائب وغرائب

عندما أصدر المقدم مصطفى محمد جرجيس آمر الفوج الذي انتسب اليه أمراً يقضي بتنسيبي الى مزرعة (الاستاذ عدي) ثلاثة أسابيع حاولت ان أرفض الأمر، غير أنني وافقت للاطلاع على بعض العجائب، نتيجة نصيحة صديق عزيز!

قال لي هذا الصديق: انه واجب ترفيهي.. ان تشرف على (دورة الضبط)!

قلت له: انني ابتعد عن (عدي)، لأنه شاب متهور، لا يحترم أحداً، وأخشى أن أصطدم به!

قال لي صديقي: انها دورة (ترفيهية)، ستجد أشياء لا تخطر على بالك!

سألته: وهل ثمة تعذيب؟

- لا.. انها (دورة تأديب) فقط..

هكذا وافقت..

وصلت الى الراشدية في نحو الساعة الثالثة بعد الظهر، وفوجئت باعضاء المنتخب العراقي وقد حلقت رؤوسهم بما يسمى عندنا - رقم صفر!.. رأيت بعض الجنود يعملون في مزرعة (الاستاذ)!

قلت للمسؤول الموجود: ما المطلوب مني بالتحديد؟

قال: انها (دورة تأديبية) وضعها (الاستاذ عدي) وبرنامجها كالآتي:

١ - تمارين عنيفة من الخامسة فجراً حتى التاسعة صباحاً.

أ - الغطس في الأوحال - الطين.

ب - الزحف على البطن لمسافة طويلة.

ج - الدخول في الأدغال عراة - بلا ملابس.

٢ - الساعة التاسعة: تناول إفطار (يكون بائساً طبعاً)..

٣ - الساعة التاسعة والنصف يعودون الى الحفر المخصصة لهم، وهي عبارة عن برك تغطي المياه نصف الجسم، والحفر مغطاة بادغال رائحتها كريهة!

٤ - يبقى المعاقبون حتى الساعة الثالثة بعد الظهر في هذه الحفر، يخرجون بعدها لتناول الغداء والذي يتكوّن: من خبز يابس (صمون) مع بصل!

٥ - بعد انتهاء الغداء يعودون لتأدية التمارين العنيفة التي يقررها مسؤول الدورة وهو يحدد وقتها أيضاً!!

سجن عدي

أتيح لي خلال تلك الفترة زيارة سجن (الاستاذ عدي)!

يقع السجن في سرداب - تحت الأرض - في زاوية من زوايا مزرعة الراشدية، ولزيارته لا بد من الهبوط حوالي مترين تحت باطن الأرض، ويبدأ من نفق جانبي حفرت منه غرف أو زنزانات صغيرة طينية تصطف الواحدة جنب الأخرى، كنت أرى السجناء من أعلى الأرض..

أما أرضية هذه الغرف أو الزنزانات فتتكوّن من الطين أيضاً وفي كل غرفة أو حفرة سلم من الخشب. ولا توجد مرافق عامة في السجن.. فيتم قضاء الحاجة في نفس المكان، ويدفن السجناء (بقاياهم) في الطين.

في الفترة التي زرت فيها هذا السجن كان عدد السجناء نحو ثمانين شخصاً..

مشاهدات

لا يمكن ان أنسى مناظر أولئك البائسين الذين ساقتهم الظروف ليكونوا تحت رحمة من لا يعرف الرحمة! كانوا أشبه بالأشباح.

سألت الضابط المسؤول عن السجن عن تهمهم..؟

أجابني: صدقني لا أعرف بالتحديد!

كان السجناء من أعمار مختلفة، وأشكال مختلفة، ولفت نظري وجود طفل في حوالي العاشرة من العمر!

تساءلت مع نفسي:

- أي قانون أو شرع يجيز الزجّ بطفل في مثل هذا السجن الرهيب الذي لا يخضع

لأي قانون سوى مزاج شاب، مراهق، مستهتر؟

قلت لمسؤول السجن: أريد أن أخرج هذا الطفل لأفهم حكايته..

رفض المسؤول قائلاً: ان (عدي) ظالم، واذا عرف انني خالفت قوانينه، فأنني سأذهب في داهية كبرى!

قلت له: إذاً دعني أكلمه هنا! داخل السجن!

- اقتربت من الطفل وسألته بمودة: ما اسمك؟

فما كان من الطفل إلاّ أن يبصق في وجهي قائلاً: كلاب.. ظلاّم!

- دهشت لتصرفه، كان يبدو وكأنه في العقد الرابع من العمر..

- تجاهلت اهانته لي، وقلت بهدوء أشدّ:

- أنا هنا زائر، ولست سجاناً، وأريد أن أعرف سبب وجودك هنا..

ردّ عليّ بعد أن أحسّ صدق لهجتي قائلاً ما خلاصته:

- قبل ثلاث سنوات كنت مع والدي في سيارتنا، وفي باب المعظم ببغداد كان الازدحام شديداً فدعست سيارتنا أخرى تبين انها سيارة (عدي)! ومنذ ذلك الوقت ونحن في هذه الحُفر.. أنا بجانب.. ووالدي قربي.. وأحدنا لا يلتقي بالآخر ولا أحد يعرف مكاننا ولا نعرف ما حصل لأهلنا!

قلت له: ما اسمك؟

قال: كاظم.

وهنا تدخل الضابط المسؤول عن السجن وقال لي تعال أعرفك على أبيه!

وقادني بين الحفر التي تضم بشراً مسخت أشكالهم بسبب سوء التغذية والرطوبة والقهر ثم تعرفت الى والد الطفل.

قال: أنا شاكر الهيتي، مهندس ميكانيك أعمل في أحد المصانع العسكري في (أبي غريب) قرب بغداد.

رويت له ما رواه ابنه فقال: بالضبط كما رواه..

وراح يتذكر ذلك اليوم الحزين الذي أدّى به الى (باستيل العراق) كما يسمى!

قال: كنت قد منحت اجازة ليوم واحد، فالاجازات عندنا صعبة بسبب كثرة العمل في المصنع الحساس الذي أعمل فيه، وكان ولدي (كاظم) مريضاً، فأخذته الى مؤسسة الطبابة المدرسية الواقعة في منطقة باب المعظم ببغداد..

وتوقف قليلاً بعد ان قدمت له - سيجارة - واضاف:

- في حوالي التاسعة صباحاً، وقع الحادث، طبعاً لم أكن أعرف سيارة (الاستاذ عدي) ولكنه قدر، لقد اعتذرت لحظتها، غير ان اعتذاري لم يجد شيئاً، وها أنا بدوري هنا منذ ثلاث سنوات.. ما ذنبي؟ وما ذنب ابني.. وأنا مهندس مجد ومفيد وسجلي نظيف؟

قلت له: سوف أتحمل المسؤولية.. سأخبر أسرتك وأطلب منهم أن يعدوا مذكرة الى (القصر الجمهوري) لعل الله يفرج عنك وعن ابنك.

وسمعت حكايات من باقي السجناء شاب لها رأسي!

الطريف أن (عدي) يزور سجناءه مرة واحدة أسبوعياً، ويتلذذ بالنظر الى مناظرهم المأساوية دون ان يتحرك ضميره ويطلب الأفراج عنهم..

واثناء وجودي توفي سجينان في السبعين من أعمارهما! لقد توفيا في حفرتيهما.. ولم يستطع المسؤول عن السجن نقل جثتيهما لأن (الاستاذ عدي) كان قد انقطع عن زيارة السجن بسبب انهماكه في الأشراف على تأثيث احدى صالات قصره الباذخ، الفخم وكان الهدف اقامة حفلة في هذه الصالة بمناسبة عيد ميلاده الشخصي!

المفارقة ان قصر (عدي) لا يبعد سوى خمسمائة متر عن سجنه الرهيب!!

نماذج من الأسرة الحاكمة: لؤي!

لؤي خيرالله طلفاح وعدي صدام حسين يعذبان استاذاً جامعياً لأنه طلب من لؤي: احترام الجامعة!

أغمي على الاساتذة بعد مشاهدتهم منظر تعذيب مواطن عراقي بريء!

لؤي المعتدي عيّن رئيساً لفريق رياضي بعد الحادث مباشرة!!

كان الاستاذ قد غادر كلية الهندسة فور اتمامه الأشراف على تأدية امتحانات طلبته، وكان يفكر بالهدية التي يريد ان يشتريها لابنته الصغرى.. عيد ميلادها سيحل غداً وهو لم يجد الوقت الكافي من جهة، كما انه لا يملك عملة صعبة لشراء شيء جيد ومفيد!

وفكر مع نفسه:

غريب ان تهين دولة عملتها بهذا الشكل!! وإلاّ كيف تطلب من الناس شراء أشياء بعملة أجنبية؟

رغم هذا، فهو أمر لا بأس به! قال هذا لنفسه وفتح الراديو وسرعان ما أغلقه عندما استمع الى خطاب مكرر لصدام: الاقتدار العالي!

هذه العبارة تتكرر بينما تطحن (القادسية) العراقيين يومياً، وتستقبل الأسر العراقية بشكل شبه يومي جثث ابنائها أو أحبابها ورغم هذا يكرر (القائد المنصور) عبارة:

الاقتدار العالي!

هكذا كان يفكر وهو في طريقه الى (الأسواق الحرة) لشراء حاجة لابنته، وبينما كان يجتاز اشارة ضوئية في منتصف الطريق واذا بسيارة من سيارات (نجدة الشرطة) تطلب منه الوقوف فوراً . .

غضب لأول وهلة، فهو لم يخالف السير، ويسير وفق الحدّ المسموح بـه من قبل (شرطة المرور) . . فلِمَ هذه اللهجة الآمرة؟

رغم هذا راح يخفف كوابح السيارة، غير أنه لاحظ ان الأمر الصارم لا يزال يأمره بالوقوف، ولاحظ وجود سيارات نجدة أخرى، أخيراً توقف.

أسرع بالتفتيش عن أوراق السيارة.

تقدم منه أحدهم طالباً الأوراق.

ولاحظ ان السيارات الأخرى جاءت أيضاً، فاستغرب. وتطلع الى الوجوه الصارمة الموجودة داخل هذه القافلة من السيارات فأزداد استغرابه ودهش.

وتقدم منه أحدهم سائلاً :

ـ أنت الدكتور نوري المحمدي ؟

ـ نعـم .

ـ حضرتك استاذ في كلية الهندسة وخريج الولايات المتحدة الأمريكية؟

أجاب الاستاذ بكل فخر . .

ـ نعم . . نعم أنا هو . . واستغرب ايقاف سيارتي بهذا الشكل، لأنني لم أرتكب مخالفة و . .

لم يجبه الشاب، بل طلب منه ترك سيارته، والتوجه معه في سيارته!

حاول الاستاذ الاحتجاج، إلاّ ان شابين تقدما منه وجذباه الى سيارتهم وطلبا منه مفاتيح سيارته بكل وقاحة وقلة أدب.

لم يجد الاستاذ نفعاً في المقاومة أمام هذا الحشد من الشباب المدجج بالسلاح!

استسلم للأمر الواقع، وحاول ان يفكر بما جرى له خلال الأيام الماضية مع طلبته فلم يذكر مشكلة ما . . وفجأة خطر في ذهنه ان يستفهم من الشاب الذي أوقفه :

ـ هل يمكنك ان تخبرني الى أين نحن نتجه الآن؟

ـ الى الراشدية . .

الراشدية؟ هكذا سأل الاستاذ . . وماذا يوجد هناك؟

ردّ عليه الشاب وعلامات اللامبالاة واضحة على ملامح وجهه :

ـ أنت مطلوب للتحقيق هناك . .

ـ تحقيق؟ هكذا تساءل الاستاذ، بينما صمت محدثه . .

وراح الاستاذ يفكر مرة أخرى عما جرى له في الكلية أو في المحلة التي يسكنها، فلم يجد أية مشكلة . .

كان الاستاذ قد عاد منذ شهور من أمريكا بعد ان نال الدكتوراه في فلسفة الانشاءات، وكان متفوقاً بحيث ان الجامعة عرضت عليه ان يحاضر فيها، غير انه فكر ان يخدم وطنه فعاد في ظروف صعبة، لكنه أقنع نفسه انه لا بد ان يضحي، لأن بلده في حالة حرب . .

وفجأة وصلت السيارة التي تقله الى : مزرعة الراشدية . .

وعندما ترجل من السيارة استقبله ثلاثة من الشباب بالاعتداء باخامص البنادق وانهالوا عليه ضرباً حتى كسروا يده وعندما أعتقدوا أنه مات وضعوه في سيارة وعادوا به الى (شارع القناة) حيث رموا جثته على الرصيف . .

بعد ساعات مرّ أحد الأطباء فلفتت الجثة نظره . . ترجل وجس النبض فوجد بقايا نفس تدل على ان الرجل لا يزال على قيد الحياة . . طلب الطبيب من أحد سائقي التاكسي نقل الضحية الى مستشفى الطوارىء وهناك بقي أربعة أيام خضع خلالها لعلاج مكثف، وبدأ يستعيد وعيه . .

اثناء وجوده في مزرعة الراشدية ـ لمح شابين كانا يوعزان لجلاديه بمواصلة تأديبه بأقسى ما يمكن حتى (قطع النفس) كما كانا يقولان! كان الشابان : لؤي خيرالله طلفاح، وعدي صدام حسين.

كان لؤي ـ وهو أصغر أولاد الحاج خيرالله ـ أحد تلامذته، غير انه تلميذ فاشل، كسول يأتي المحاضرات مرة أو مرتين كل أسبوع، وعندما يأتي المحاضرة لا يأتي مع بدايتها كبقية الطلبة بل في منتصفها . . استهانته بالدروس سببت للاستاذ أحراجاً بل اهانة . .

اضطر لتنبيه لؤي . . إلاّ أن هذا لم يكترث . .

وقبيل الحادث بأيام كان الاستاذ يجري امتحاناً لطلبته .

مرة أخرى جاء لؤي متأخراً ! بادره الاستاذ قائلاً :

ـ الا تعرف ان اليوم موعد امتحان، فلماذا تتأخر هكذا؟

لم يرد لؤي على سؤال الاستاذ، بل بدا عليه الاستياء. وجلس في مقعده ليطلب من الزميل المجاور له قلماً يؤدي به الامتحان!

غضب الاستاذ لهذا الاستهتار وقال له :

ـ أنت لست طالباً حقيقياً! كيف تستعير قلماً وتأتي الى قاعة الامتحان بدون قلم؟.

أنزعج لؤي من ملاحظات الاستاذ فنهض تاركاً القاعة وسط دهشة الطلبة..

اعتبر الاستاذ عدم مشاركة لؤي بالرد على أسئلة الامتحان بمثابة اهانة للجامعة وللتقاليد الأكاديمية، فأعتبره راسباً في تلك المادة.

ذهب لؤي الى عدي صدام حسين ـ ابن أخته ـ زاعماً ان هذا الاستاذ «المتأمرك» اهانه.. وان الاهانة تشمل كل عائلة صدام حسين! فما كان من عدي إلاّ ان كلّم الاستاذ طالباً منه الاعتذار من لؤي!!

رفض الاستاذ طلب عدي وأوضح له ان لؤي طالب كسول وان صلته العائلية تزيد من مسؤوليته، لأنه يجب ان يكون قدوة حسنة للآخرين الخ..

لم يقتنع عدي بكلام الاستاذ، فهدده هذا بالعقاب..

نسي الاستاذ هذا الحادث الذي اعتبره صغيراً.. ولم يتذكره إلاّ عندما أنهال عليه ـ الجلادون (وعدي ولؤي) يتفرجان وفي يد كل منهما كأس من الخمر في مزرعة (عدي) بالراشدية.

كان الدكتور نوري المحمدي يتمتع بسمعة علمية واجتماعية جيدة، فعلى الرغم من حداثة عهده بالجامعة، إلاّ أنه نال مكانة طيبة بين الطلبة وزملائه الاساتذة. وسرعان ما انتشر خبر الاعتداء عليه في كل مكان..

في ذلك الوقت ـ ١٩٨٣ ـ كنت ضمن عناصر مخابرات النظام في كلية الهندسة ولقد استدعاني الدكتور حسام الراوي عميد الكلية وكالة وطلب مني ان أرافقه لزيارة الدكتور المحمدي في المستشفى، هناك وجدناه يئن ويردد بيت الشاعر:

أعلّمه الرماية كل يوم   فلما اشتد ساعده رماني

قلت له مازحاً :

ـ لؤي ـ تلميذك الكسول ـ يجيد رمي الرصاص ولا صلة له بالعلوم!

ردّ بأسى: لم أتوقع مثل هذه القسوة من أحد تلامذتي.

بعد ذلك نصحناه بمقابلة صدام حسين فور خروجه من المستشفى لأن القضية انتشرت في الشارع، ولا بد ان يعرف (الرئيس القائد) ماذا يفعل أفراد أسرته من أعمال لاأخلاقية، بل اجرامية.

وافق الدكتور المحمدي وطلب فعلاً مقابلة صدام حسين وبعد أسبوع من المقابلة جاءت برقية:

طلبت البرقية جميع اساتذة كلية الهندسة ورؤساء الجامعاء ومسؤولي أعضاء ما يدعى بـ(الاتحاد الوطني للطلبة) مقابلة صدام حسين!

وبصفتي مسؤولاً لمخابرات النظام في الكلية فقد نظمت قائمة بأسماء الأشخاص الذين طلبوا لمقابلة (السيد الرئيس)!

وفي الموعد المحدد توجهت مع عميد الكلية في سيارته الشخصية! وفي استعلامات القصر بدأت مراسم مقابلة (القائد المنصور)!! طلب من الجميع التوجه الى غرفة معينة وتم تجريد المطلوبين من حاجياتهم الموجودة في جيوبهم، وفتشوا تفتيشاً دقيقاً بآلات معقدة، وانتزعت منهم ساعاتهم وغير ذلك ووضعت جميع حاجاتهم في مظروفات خاصة. كان بقرب الدكتور طه النعيمي رئيس جامعة بغداد، ولاحظت أنه يرتجف خوفاً ـ فكأنه محكوم ينتظر تنفيذ حكم الأعدام!

دخلنا القاعة بعد ساعات من الانتظار حتى جاء سكرتيره ومدير مكتبه حامد حمادي (وزير اعلام النظام حالياً).

العقاب الصدامي !

تكلم حمادي قائلاً :

اعتذر بأسم الرئيس... صدام حسين.. الذي لم يتمكن من الحضور بسبب كثرة أشغاله التي تهم.. الشعب.. ثم قال:

ان المحكمة قد حكمت على الشاب العاق لؤي خيرالله طلفاح بالسجن لمدة عشر سنوات.

وبالاضافة الى هذا أمر.. صدام حسين.. بمعاقبة لؤي بكسر يده، تماماً كما فعل

بالدكتور المحمدي . .

قال هذا، ودون ان ينتظر ردود فعل الموجودين تم عرض شريط فيديو يظهر فيه عدي ولؤي، وبعد ذلك أحضر شخص، لم نتبين وجهه وأنهالوا عليه ضرباً مبرحاً ثم ربطوا يده وجروها بحبل وكسروها . .

كان المنظر مرعباً، فظيعاً !

لكن من هو الضحية ؟

انه مجهول . . وأحسب أنه أحد عناصر المعارضة جيء به، ليعذب وتكسر يده، لايهام الآخرين ان هذا الضحية المسكين هو:

- لؤي خيرالله طلفاح !

لقد أغمي على عدد من اساتذة الجامعات وهم يشاهدون منظر التعذيب المرعب هذا من خلال شريط الفيديو .

أما سجن العشر سنوات الذي أمر به صدام حسين فلقد كان جزءاً من المسرحية غير المتقنة التي شهدتها!

فبعد أيام صدر قرار رسمي يقضي بتعيين لؤي رئيساً للاتحاد العراقي لكرة اليد!!

وهكذا سدل الستار على هذه الجريمة، وبقيت يد الاستاذ المكسورة تشهد على ظلم وفاشية نظام صدام حسين وعصابته .

تفاصيل مثيرة عن عملية اغتيال عبد الرزاق النايف في لندن «٧٨»:

سحب صدام المسدس في وجه النايف فأجابه هذا: ألم نقسم على المصحف بالتعاون؟

النايف عرف أسراراً عن صدام وجماعته فقرر تصفيته

سعدون شاكر وعبدالحميد الخربيط خططا لعملية الاغتيال التي تمت في قلب لندن.

قبل ظهيرة يوم ساخن من تاريخ العراق الحديث اشتهر باسم: الثلاثين من تموز/ يوليو ١٩٦٨ .

كان صدام التكريتي ينتظر مجموعة من أذرعه بينهم: برزان، جعفر الجعفري، كامل ياسين، سعدون شاكر، عجاج الأحمد الهزاع، صلاح صالح الخ . .

كان معظم هؤلاء من (التكارتة)! ومن العاملين معه في خط (حنين) العسكري الذي كان نواة انشاء جهاز مخابرات النظام. . كان الموعد في: - القصر الجمهوري بكرادة مريم ببغداد .

وكان صدام قد استحصل على موافقة البكر والآخرين من أجل ازاحة (الطارئين) على (الثورة)! وكان الهدف ابعاد أثنين: أولهما وزير الدفاع اللواء ابراهيم الداود. . والذي كان موجوداً في الأردن. وثانيهما: اللواء عبد الرزاق سعيد النايف رئيس

الوزراء. وهو المقصود في هذا اليوم أيضاً!

تنفيذ عملية ابعاد النايف تم خلال حفلة غداء أقامها اللواء حماد شهاب.

حماد ذبح غزالاً مشوياً وجلبه الى القصر الجمهوري!

توقف صدام مع حماد شهاب قليلاً، وانتحى به جانباً وقال له:

- هذه المسألة ستتم اليوم! اليوم ستتخلص من هؤلاء!

تساءل حماد شهاب:

- هل ضبطت الأمور كلها؟

أجاب صدام بكل ثقة:

- كل شيء تمام! ثم حدّق في عيني حماد قائلاً:

- عندما نخرج من غرفة الطعام، وتراني أدخل الى مكتب (الرئيس البكر)، لا تدخل أنت، توجه الى (اللواء المدرع العاشر) على الفور، وطوق القصر. أدخل رعيل الدبابات الى داخل السياج الخارجي للقصر، لأن عبد الرزاق النايف لا ينبغي ان يفلت.. فاذا حاول الهرب سأقتله. ومن المحتمل ان تحدث مضاعفات، فوحدات القصر كلها تدين له بالولاء والطاعة، بما في ذلك الحراسات الداخلية في القصر بالاضافة الى حراسه الشخصيين وهم ١٢ حارساً مسلحين بالرشاشات يحيطون به احاطة اليد بالمعصم!

على مائدة الطعام كان (الرئيس) أحمد حسن البكر يجلس والى جانبه عبد الرزاق النايف وحردان التكريتي، وصدام التكريتي، وحماد شهاب التكريتي، وسعدون غيدان، وصالح مهدي عماش.

كان حماد شهاب يضحك وهو يقول:

- طعام اليوم غزال كله!

انتهى الطعام وخرج من الغرفة سريعاً. كان حردان التكريتي يسير الى جانبه، نظر اليه صدام وقال له:

- أبو سعد اليوم ستكون المسألة منتهية!

تساءل حردان: اليوم؟ دعنا نتفاهم صدام! لا يمكن ان تتم العملية في وضح النهار!

أجاب صدام: بل ستتم واليوم!

توجه صدام الى مكتب (رئيس الجمهورية). كان البكر جالساً الى مكتبه. وصالح

مهدي عماش جالساً أمامه. أما عبد الرزاق النايف فكان جالساً وظهره نحو الباب الخارجية للغرفة.

سحب صدام التكريتي مسدسه ووجهه نحو عبد الرزاق النايف وصاح به:

- أرفع يديك!

التفت اليه النايف مستنكراً:

- لماذا هذا الغدر؟ ألم نقسم على المصحف الكريم بالتعاون لخدمة العراق والعروبة؟

أجاب صدام بسخرية:

- مصحف، وقسم يعني ماذا؟!

قال هذا ومدّ يده لينتزع مسدس النايف وهو يسمع المسدسات في أيدي العصابة التي راحت (تفرطق) مسدساتها على مقربة خطوات لارهاب (رئيس الوزراء)!

فكّر النايف للحظات في العملية الغادرة، وآثر الاستسلام! كان اعتراضه يعني وقوع مجازر لا مبرر لها!

وهو لم يقبل على الاشتراك في انقلاب ١٧ تموز/ يوليو ١٩٦٨ إلّا بعد ان أعطي عهوداً بأنه سيكون: (انقلاب أبيض) لا تسيل فيه قطرة دم!

وها هو صدام وزمرته يغدرون وينكثون الوعود التي قدموها على المصحف الشريف!

جرّ صدام طريدته الى غرفة صغيرة وقال له:

- لن نقتلك، لك ان تختار مكاناً لتعيش فيه.

وقال النايف: أذهب الى لبنان.

قال صدام: لا.. انك تريد ان تعمل ضدنا!

ثم ذكر عدة بلدان وأخيراً اختار: - المغرب.

نادى صدام على برزان - أخيه نصف الشقيق - وعلى جعفر الجعفري - وهو من أشقياء تكريت المعروفين وقال لهما:

- قفا الى جانب عبد الرزاق، فإن تحرك اقتلاه فوراً!

ثم توجه هو الى البكر لترتيب إبعاد النايف، بينما أتم جلاوزته اعتقال الحرس الخاص بالنايف وانصاره الموجودين في القصر.

عبد الرزاق سعيد النايف ضابط من مدينة الرمادي، عرف باتجاهه القومي العربي، شغل عدة مناصب عسكرية رفيعة آخرها مديرية الاستخبارات العسكرية في وزارة الدفاع في عهد الرئيس عبد الرحمن محمد عارف.

وخلال عمله جمع معلومات مثيرة عن (حزب البعث العراقي) وارتباطاته المشبوهة بالماسونية والغرب، وكان يملك ملفاً كاملاً عن صدام التكريتي وجماعته..

وخلال تموز/يوليو ١٩٦٨ تلقى تقارير تؤكد ان البكر وصدام يعدان لانقلاب عسكري ضد نظام عارف الذي هو أحد أركانه! ولما وجد ان هذا الطرف يحظى بدعم خارجي قرر التعاون معهم على أمل: ان يصفيهم في وقت لاحق!

في صبيحة ١٦ تموز/يوليو ١٩٦٨ حمل أحمد مخلص ـ أحد ضباط الاستخبارات العسكرية رسالة شخصية منه الى منزل أحمد حسن البكر هذا نصها:

أخي أبو هيثم: بلغني انكم ستقومون بانقلاب بعد ساعات.. تمنياتي لكم بالتوفيق.. وأتمنى ان أشارككم!

كان البكر مجتمعاً مع مساعديه.. فما كان منه إلّا أن وافق على (عرض النايف)..

بعد نجاح الانقلاب شغل النايف منصب (رئيس الوزراء)..

كان النايف قد اتفق مع ابراهيم الداود وسعدون غيدان ـ وكان الأخير يشغل منصب (آمر كتيبة الدبابات) في القصر.. وكان يمكن لهذا الثلاثي: النايف ـ الداود ـ غيدان، ان يتولى زمام الأمور، خاصة وأنهم جميعاً محسوبون على التيار العروبي ـ الاسلامي. غير ان خيانة غيدان سهلت سيطرة البكر ـ صدام على شؤون ومقدرات العراق!

ابعاد النايف عن العراق بالقوة لم تصبه بالاحباط، بل انه واصل العمل ضد صدام وزمرته!

فله رصيد جيد بين العسكريين والمدنيين.. ولم يبق في المغرب إلّا فترة قليلة توجه منها الى: الأردن وبريطانيا وغيرهما!

وفتح جهاز المخابرات ملفاً للنايف منحه الرقم: ١٢٦! اطلعت عليه بحكم عملي في شعبة الاغتيالات!

واستناداً الى هذا الملف دخل النايف العراق ثلاث مرات عام ١٩٧٣. ومرة واحدة عام ١٩٧٤ وأكثر من مرة عام ١٩٧٦. وفي جميع هذه المرات كان يدخل سراً ويجتمع

بأنصاره من العسكريين والمدنيين.

وبدأت المخابرات تخطط لتصفيته بعد ان عجزت عن إلقاء القبض عليه اثناء زياراته السرية. كان النايف بحكم كونه ضابط استخبارات يعرف كيف يتسلل وكيف يخرج من العراق متى أراد؟

وخططت المخابرات لاستدراج النايف وتصفيته مستخدمة أسلوباً انطلى عليه!

وجهت له أحد عناصرها المدعو عبد الحميد ذياب الخربيط وهو من أهالي الرمادي، (رئيس عشائر الدليم) وقد التقى به في بيروت (١٩٧٧) وراح يتقرب اليه ويبدي له تذمر الشعب العراقي من النظام ويشرح له جرائم الحكام وتطلع العسكريين والمدنيين اليه ـ الى النايف ـ ليكون المنقذ والنصير! وأكد له ان هناك مجموعة تعمل مع النظام على استعداد للتحرك معه.. ولم يكتف الخربيط بهذا بل انه وجه زوجته لتتصل بزوجة النايف للهدف نفسه..

وبعد فترة شارك سعدون شاكر (عضو ما يدعى بمجلس قيادة الثورة ووزير داخلية النظام) بأحد الاجتماعات التي عقدها النايف ـ الخربيط في عمان!

شاكر شارك في الاجتماع على اعتبار انه يريد ان يعمل ضد النظام مع النايف!

وكان الأمر كله عبارة عن (سيناريو) معدّ في رئاسة مخابرات النظام وبتوجيه من صدام الذي كان يعتبر النايف أحد أشدّ منافسيه!

فاتح النايف أحد رؤساء العشائر في الرمادي للمشاركة معهم في الاعداد لحظة لقلب النظام من الداخل ـ غير ان هذا الذي لا استطيع ان أورد اسمه الآن ـ حذّر النايف من: الخربيط ـ شاكر!

وأكد للنايف في رسالة جوابية انهما مدسوسان عليه، وانهما يسعيان لتصفيته! وبعد دراسة القضية، تقرر تنفيذ عملية التصفية في لندن!

وجد العاملون في جهاز المخابرات صعوبة في العثور على شخص مناسب لتنفيذ المهمة. وأخيراً اتفقوا مع جهة (غير عراقية) جهزت شخصين يحمل أحدهما جواز سفر خليجياً طلب الخربيط وشاكر من النايف ان يتم اجتماعهما القادم في لندن بدلاً من عمان فوافق فوراً..

في تموز/يوليو ١٩٧٨ استدرج عبد الحميد الخربيط وسعدون شاكر الضحية الى العاصمة البريطانية حيث سبقاه..

أقام الخربيط وشاكر في فندق انتركونتيننتال ووصل النايف بدون زوجته وعندما دخل الى الفندق بعد وقت قصير من الموعد للاجتماع أخبره موظف الاستعلامات ان ذياب وشاكر غادرا بعد دقائق من اتصالها به . . لم يفكر النايف لحظتها، ان هذا الأمر جزء من خطة محكمة لاغتياله!

كان الشابان (الثوريان) اللذان استأجرهما جهاز المخابرات بانتظاره خارج الفندق حيث اطلقا عليه الرصاص وأردياه في الحال!

وفي خلال دقائق انتشر نبأ مصرع عبد الرزاق النايف في انحاء العالم!

أوعز برزان الى شعبة الاغتيالات في جهاز المخابرات باغلاق الملف ١٢٦ !

أما صدام فقد حجز أحد المطاعم الراقية الكائنة في الكرادة الشرقية، لمجموعة من مساعديه وكان طعام العشاء في تلك الليلة الصاخبة: لحم الغزال!

أسرار مصرع العميد عبدالجبار الخربيط:

برزان أصدر الأمر بتصفيته !

العملية تمت خلال قصف عشوائي مفتعل !!

كان الهدوء مخيماً على جبهة القتال على قاطع عمليات (الفيلق الثاني)، وكانت الشمس قد مالت الى الغروب، وتفرق المحاربون يمارسون هواياتهم ويستعيدون هدوءهم، يفتشون عن بريد الأهل وأخبار الأحبة.

وفجأة سرى الخبر:

- وصل المفتش العام!

تلفت الجميع، فاذا بالعميد عبدالجبار محمد الخربيط قد وصل برفقته: سائقه، لتفتيش «الفيلق»، وبينما كانوا منهمكين بالترحيب به، اندلع قصف مدفعي كثيف.

ساد الذعر، وارتفعت صفارات الانذار، وتوجه أغلب الضباط الى الملاجىء. وبقي العميد الخربيط يتجاذب اطراف الحديث مع صديقه اللواء حميد التكريتي، ومع رائد يدعى «اسماعيل».

ولم يجد مبرراً للهرب باتجاه الملاجىء، كما فعل الآخرون.

كان القصف المدفعي يشتد، وبينما كان اللواء التكريتي يستل (سيجارة) من جيبه، وإذ بالخربيط يسقط بين يديه مضرجاً بدمائه!

صرخ التكريتي وولول سائق الضحية، غير ان أحداً لم يسرع لنجدة المفتش! وهمس (اسماعيل) في اذن التكريتي قائلاً :

ـ يا سيدي لا تتعب نفسك، فهذه أوامر من ـ الرئيس صدام حسين ـ (الله يحفظه) . .

والقصف الذي بدأ مع وصوله الى (آمرية الفيلق) هو جزء من «الديكور» المرتب!!

ذهل اللواء التكريتي . . وانكمش مؤثراً الصمت!

في اليوم التالي، شيع جثمان القائد العسكري من مستشفى الرشيد في بغداد الى مسقط رأسه في الرمادي بشكل رسمي . .

ثم وري التراب، وفقاً للتقاليد العسكرية الرسمية . .

وأقيم مجلس فاتحة حضره :

ـ (أعضاء القيادتين والوزراء وكبار الرسميين) !

ـ كان أبرز من حضر : طه ياسين الجزراوي.

سيرة

عبدالجبار محمد الخربيط ضابط من احدى العشائر المرموقة في الرمادي [محافظة الانبار]، شارك في معظم الانقلابات التي انفجرت في العراق . .

ففي انقلاب ٨ شباط/فبراير ١٩٦٣ كان ضابطاً في كتيبة دبابات المنصور التي كان يعرف عنها انها من قواعد (حزب البعث العراقي) المهمة . وبعد نجاح الانقلاب عيّن آمراً لكتيبة دبابات المنصور، وكان مقرها في منطقة (أبي غريب) قرب بغداد، وكانت هذه الوحدة تعتبر من أهم المؤسسات العسكرية .

الخربيط ضابط مهني بارز، نال في أخريات أيامه الدكتوراه في العلوم العسكرية من

جامعة (البكر)، وقد نال الدرجة الأكاديمية عن جدارة، فلقد كان ضابطاً ذكياً، يتمتع بثقافة واسعة .

شارك الخربيط في انقلاب ١٧ تموز/ يوليو ١٩٦٨ ، ونتيجة ذلك فلقد قلّد (وساماً) خاصاً منح للعسكريين الحربيين القلائل الذين شاركوا فيه!

وقد بوأ الانقلابيون هذا الضابط مناصب رفيعة، فعندما عيّن حماد شهاب التكريتي وزيراً لدفاع النظام، تم تعيينه آمراً للانضباط العسكري، وظل يعمل بكل اخلاص وجد حتى جاءت عملية ناظم كزار صيف ١٩٧٣ ، والتي كان من نتائجها مقتل حماد شهاب . .

كان الخربيط لا يتميز بالكفاءة والثقافة والاخلاص فقط، بل كان طموحاً وكان يتوقع ان ينيط به النظام :

ـ وزارة الدفاع !

غير ان الذي حدث كان غريباً بالنسبة اليه! فلقد عهدت الوزارة الى البكر فترة، ثم الى عدنان خيرالله بعد ان منح رتبة :

ـ فريق أول ركن طيار !

وعدنان ضابط شاب، محدود الكفاءة (رأسماله) انه :

ـ ابن خال صدام، وصهر أحمد حسن البكر !

تأكد للخربيط ان (الحزب) انحرف . . ! ولهذا لا بد من المقاومة، ومحاولة (تصحيح الأوضاع) .

ولكن . . كيف السبيل الى ذلك ؟

ـ لا بد من العمل !

قال هذا لنفسه . . وشرع بتجميع عدد من الضباط حوله، وراح يشرح لهم المستقبل المظلم الذي ينتظر العراق، في ظل هذه العصابة التكريتية، كما كان يسمّي المجموعة الحاكمة . .

تعيين وزير دفاع النظام هذا، كشف حقيقة النظام له، وكان يعلق قائلاً :

ـ ان عدنان خيرالله كان طالباً بسيطاً في الكلية العسكرية بينما كنت أنا رائداً في كتيبة الدبابات، فكيف يقدّم عليّ؟

وأين هي التقاليد العسكرية ؟!

شهادة حية :

لقد سمعته شخصياً يذكر هذه الحقيقة اثناء حضوره مجلس الفاتحة الذي أقيم على روح جدي - رحمه الله - في الرمادي واضاف :

- كان الأجدر بـ(القيادة) ان تكرم الأشخاص الذين كانوا العمود الفقري لنجاح (الانقلاب) الذي جاء بهم الى السلطة، وتعهد اليهم بالمناصب الأساسية مشكلة العميد الخربيط انه لم يكن كتوماً، بل كان في منتهى الصراحة! فاذا كان يتحدث في مثل هذه الأمور الخطيرة في مجلس عام، فكيف سيتحدث اذا كان في مجلس خاص؟

هذه الأحاديث كانت تصل الى مسامع صدام وعدنان خيرالله فحاولا تحجيمه، بنقله خارج العاصمة، وفي مكان ثانوي بحيث لا يشكل أي تهديد لهما!

في أيلول/سبتمبر ١٩٨٠ فجّر النظام حربه ضد ايران، كان عبدالجبار يومئذ ضمن وفد عسكري في مهمة خارج العراق وعندما حاول العودة، كانت الأجواء قد أغلقت ومنع الطيران، فاضطر الى العودة عن طريق الأردن، وألتحق فوراً بعمله، حيث كان يشغل منصب :

رئيس اركان الفيلق الخامس ومقره في كركوك.

كان لعبدالجبار موقف من الحرب مع ايران، فقد كان يرى انها حرب لا مبرر لها، وانها تستهدف وضع العراق في مأزق خاصة وان ايران أكبر من العراق مساحة وعدد سكانها يبلغون ثلاثة اضعاف نفوس الشعب العراقي..

وبالتالي فانه لا مصلحة في زجّ العراق في حرب عبثية لا جدوى منها.

راح عبدالجبار يتحرك ويجمع الضباط حوله..

في المقابل كان صدام يراقب كل تحركاته..

كان اسم عبدالجبار الخربيط على لائحة التصفية في وقت مبكر!

فكان يفترض تصفيته اثناء عملية ناظم كزار (١٩٧٣)!

ففي تلك العملية التي أشرف عليها صدام بالاتفاق مع تلميذه ناظم كزار كانت لائحة التصفيات تشمل كبار القادة الذين يعتقد صدام انهم يشكلون خطراً على مستقبله السياسي وبينهم :

حماد شهاب، سعدون غيدان، عدنان شريف، عبدالجبار الخربيط !

حماد شهاب انتهى اثناء العملية..

سعدون غيدان، صفاه بشكل غريب في وقت لاحق، سنأتي على تفاصيله!

عدنان شهاب : صفّاه بطريقة مشابهة لعبدالجبار، ثم اعتبر : من الشهداء !

أما عبدالجبار الخربيط فقد كُلّف (مفوض الأمن محمد خلف ذياب الخربيط، بتصفيته ومنح اجازة لهذا الغرض فعلاً وكان موجوداً في داره ليلة - العملية، غير انه (المفوض) رفض تنفيذ ما كلف به : قتل أو اعتقال - ابن عمه كما اعترف في وقت لاحق.

هكذا كتب لعبد الجبار النجاة !

في ١٩٨١ قام عدنان خيرالله وزير دفاع النظام بزيارة الفيلق الخامس ويفترض منصبه الرسمي الرفيع ان يكون في استقباله جميع آمري وكبار ضباط (الفيلق) وعندما أبلغ عبدالجبار تجاهل المسألة، ولم يهرع الى تقديم (فروض الطاعة والولاء) وتقديم (تعظيم سلام) للوزير «الثوري»!

عدنان أحس بموقف عبدالجبار منه ورغم هذا توجه اليه، مرة أخرى تجاهله، بل ظل جالساً وفي كرسية دون ان يكلف نفسه عناء النهوض، وأداء التحية التي تقتضيها الأصول العسكرية!

غضب الوزير وسأله :

- ألا ترى هذا التصرف غريباً؟ كيف يزورك وزيرك وأنت عسكري، وتهينه هكذا؟

رد عبدالجبار بكل هدوء :

اني ضابط أقدم منك مرتبة، ولا يجوز لضابط قديم ان يؤدي التحية لضابط أدنى منه مرتبة!

قطع عدنان زيارته التفقدية، وعاد الى رئيسه وسيده صدام كالثور الهائج لينقل له موقف عبدالجبار وربط هذا بالمعلومات التي جمعتها الاستخبارات عن نشاطاته المعادية للنظام.

صدام اتخذ قرار التصفية، ورسم «السيناريو» لتغطية القرار !

وقبيل تنفيذ الخطة قام صدام وخير الله في زيارة تفقدية (للفيلق الخامس).

في زيارة تفقدية (للفيلق الخامس).

ومرة أخرى تكرر تجاهل عبدالجبار لوزير دفاع النظام!

حدثت مشادة كلامية بين الاثنين تدخل بعدها صدام لتهدئة الجو ومما قاله:

ـ امسكوا اعصابكم.. أنتم أخوة.. ونحن في حالة حرب.. لا تعقدوا الأمور.

هكذا انتهى النقاش..

رسول الموت!

وعندما عاد صدام الى بغداد أصدر أمراً بنقل العميد عبدالجبار الى دائرة التفتيش الواقعة في شارع «أبي نواس»..

لم يكتفِ صدام بتجميد عبدالجبار في هذه الوظيفة الادارية، بل واصل تنفيذ حكمه!

أوفد خاله خيرالله طلفاح ـ والد عدنان والذي يلقبه العراقيون بـ(حرامي بغداد) الى عائلة الخربيط حيث التقى مجموعة منهم بينهم اقرباء عبدالجبار وهم عبدالحميد وعبدالكريم وبدأ كلامه قائلاً:

ان الرئيس صدام تربطه بكم علاقة وثيقة، وهو يعتز بكم كثيراً، خاصة وان أسرتكم قدمت خدمات كبيرة للـ(الحزب والثورة) ونظراً لهذه المكانة فقد كلفني صدام وعدنان ابلاغكم بموضوع «أبي جلال» العميد عبدالجبار..

ران الصمت والذهول بانتظار تفاصيل (الموضوع) وعندما تأكد من اصغاء الجميع قال خيرالله:

للأسف، ارتد العميد عبدالجبار مبادىء (الحزب والثورة) هو ومجموعة قليلة من الضباط الذين خدعهم، وتأكد للأجهزة الأمنية التي ترصد الاعداء ان هذه الزمرة تدبر شيئاً ضد النظام وكما تعلمون فأن عقاب الخائن هو الموت، ولكن بالنظر الى مكانتكم الاجتماعية فان قرار حكم الاعدام لن ينفذ به علناً، لأن هذا سيلحق الضرر بسمعتكم وعليه أمر صدام بـ:

ـ تنفيذ حكم الاعدام بالعميد عبدالجبار في احدى جبهات القتال، وسيعد (شهيداً)، باعتباره (استشهد) خلال الحرب، وتمنح عائلته كل الحقوق الخاصة، وتضاف الى سجل الأسرة نقطة ايجابية تضاف الى مآثرها في خدمة (الحزب والثورة والرئيس القائد). (!!)

صمت الجميع إلاّ عبدالحميد الذي بانت عليه علامات الموافق عندما عقب قائلاً:

ـ ان مثل هذه الأمور نترك تقديرها الى (أبي عدي)!

لم ينس خيرالله ان يخبر أركان العائلة (الخربيطية) ان الأمر الذي أبلغه لهم هو سري وخطير وانه في حالة تسربه فأن عقاباً قاسياً وجماعياً ينتظرهم بلا رحمة.

مارس العميد عبدالجبار وظيفته في مديرية التفتيش بشكل اعتيادي، ودون ان يعرف شيئاً عن القرار السري الخاص بتصفيته..

في احدى الجولات التفتيشية لم يرافقه سوى سائقه الوفي.

وعندما وصل الى مقر احدى القطعات في أحد الخطوط الأمامية، اندلع قصف بودل من الطرف الآخر..

وخرّ العميد عبدالجبار ينزف دماً.. دون ان يفكر أحد بعمل شيء ما له.. وأصيب سائقه بطلقة في كتفه..

واثناء التشييع الرسمي المهيب لوحظ وجود عناصر من الحرس الخاص وعندما تم نقل جثمانه الى دار أخيه عبدالرزاق في مدينة (الرمادي) طلب عدد من أفراد الأسرة:

ـ فتح الجثمان لالقاء النظرة الأخيرة على (الشهيد)!

سارع عبدالحميد لمنع المحاولة، لأنه يعرف أنه أصيب باطلاقة رشاشة من الخلف، وان فتح الصندوق الخشبي، يكشف سر الاستشهاد المزعوم!

سائق العميد عبدالجبار كشف العملية عندما اعترف:

ان سيده لم يمت نتيجة القصف المدفعي بل سقط نتيجة رشقة من رشاشة ضابط من الخلف، وأكد ان الدليل على ذلك:

انه شخصياً كان موجوداً وقد أصيب بطلقة في كتفه..

وتحدى الجميع بفتح الصندوق لمشاهدة موضع اصابة المغدور!

أصرّ عبدالحميد وعبدالكريم على عدم فتح الصندوق، بينما نال السائق جزاءه عندما اعتقلته عناصر المخابرات بعد ثلاثة أيام فقط من ادلائه بهذه الشهادة الخطيرة أمام

أسرة الفقيد، واختفت آثاره نهائياً الى اليوم!

وسرى الهمس في الشارع العراقي غير ان التفاصيل ظلت مجهولة . .

ـ فكيف تمّ التنفيذ ؟

ـ ومن تولى ذلك ؟

كان الافتراض المعقول ان تتولى الاستخبارات العسكرية تنفيذ هذه العملية .

ونظراً لصلاتي بالفقيد وأسرته، فقد حاولت الوقوف على دقائق لغزها !

وعن طريق صديق لي كان أحد المرافقين الشخصيين لصالح مهدي عماش نائب رئيس جمهورية النظام الأسبق ـ زرنا مسؤولاً في مديرية الاستخبارات العسكرية يشغل منصب ـ مدير شعبة ـ وطلبنا منه مساعدتنا في كشف النقاب عن أسرار العملية فوعدنا بذلك!

ولم نكتف بهذا المصدر، بل توزعنا للبحث في جهات أخرى مماثلة منها الأمن العامة، المخابرات.

بعد أيام اتصل بنا مدير شعبة الاستخبارات وقال أريد أن ألتقي بكم!

التقينا على وجبة غداء في مطعم شاهين الواقع في منطقة المسبح بالكرادة الشرقية في بغداد واثناء الدعوة همس في آذاننا قائلاً:

ـ اعترف لكم ان مقتل العميد عبدالجبار كان مفاجئاً للاستخبارات، ولقد بذلت (الشعبة الثالثة) في المديرية أقصى جهد لتقصي الحقائق عن طريق ضابط استخبارات الوحدة التي وقع فيها الحادث، وقد استدعيناه غير انه رفض الأدلاء بأية معلومات مفيدة، وبعد أيام استدعيناه ثانية وضايقناه وهددناه بالسجن ان رفض التعاون معنا.

وجاءت المفاجأة عندما تدخل برزان التكريتي رئيس جهاز مخابرات النظام أيامئذ لاطلاق سراحه!

قلنا له: ماذا يعني كل هذا؟

أجاب بهدوء :

ـ لقد ثبت لدينا ان المخابرات هي التي نفذت العملية . . لا الاستخبارات!

سررت بمعرفة هذه (الحقيقة) لأنها ضمن (دائرتي)!

القاتل من شعبة الاغتيالات

في (رئاسة مخابرات النظام) قسم يدعى (شعبة الاغتيالات) أعرف أنه المسؤول عن تنفيذ مثل هذه المهمات القذرة!

وبحكم عملي لي صلة وطيدة بعدد من مسؤولي هذه الشعبة، وخاصة موظفي (الملفات السرية) التي كنت يوماً ما انتسب اليها!

اتصلت بأحد ضباط هذه (الشعبة) ورجوته مساعدتي، فاعترف لي ان منفذ العملية يدعى: رعـد !

وقد أصدر له برزان أمراً بتنفيذ المهمة مع ضابط استخبارات الوحدة . .

كنت أعرف ـ رعد ـ هذا، فهو جلاد معروف، عمل مع ناظم كزار، وقتل الكثير من الأبرياء .

ولكي أتأكد بشكل أدق، وجهت دعوة عشاء له في أحد المطاعم، وبعد ان احتسى شيئاً من (الخمر) قلت له :

ـ اهنئك على عملية قتل العميد عبدالجبار !

لم يفزع ولم يفكر بل قال بكل فخر :

ـ هذا شيء بسيط، وأنت تعرف أعمالي في (الأمن العامة) وهنا في (المخابرات)!

وبعد ان رشف كأساً أخرى راح يروي الحكاية المرعبة :

طلبني برزان التكريتي رئيس الجهاز، وعندما ذهبت اليه وجدت عنده ضابطاً عسكرياً برتبة رائد . .

أديت التحية، طلب مني الجلوس وقال :

رعد أريد منك ان تصفي أحد العناصر المعادية للرئيس القائد صدام حسين قلت له فوراً :

ـ أنا حاضر دائماً، كما عرفتني، سيدي . .

قال: أذهب مع الرائد اسماعيل الى وحدته العسكرية، وهو الذي سيشير لك الى الهدف المطلوب تصفيته .

ـ جاهز سيدي .

وخرجت مع (الرائد) الى وحدته الكائنة في القاطع الأوسط للعمليات الذي كان أيامئذ يدعى (الفيلق الثاني) وهناك جلست ثلاثة أيام أترقب فريستي، الى ان جاء العميد عبدالجبار لتفتيش القطعات كانت الشمس قد مالت الى الغروب، واثناء تواجده هناك بدأ تبادل قصف مدفعي، بدأته الوحدة التي كنا فيها، كان القصف مقصوداً متعمداً.. وعندما دخل أغلب الضباط الى الملاجىء بقي العميد و(الرائد اسماعيل) وسائق العميد.. كنت أقف خلفهم، وكان اللواء حميد التكريتي موجوداً.. واغتنمت فرصة اشتداد القصف المفتعل لأنفذ العملية.. وقد مات العميد عبدالجبار فوراً..

اعترض اللواء حميد، فأبلغه (الرائد) انه:

أمر الرئيس القائد ـ حفظه الله!

خلف عبدالجبار ستة أولاد دخل اثنان منهم كلية القوة الجوية..

فصل جلال.. الأكبر..

أما الثاني ـ سعدون ـ فقد تخرج طياراً ثم قتل في معركة (أم المهالك).

أسرار مقتل وزير الخارجية الجزائري الأسبق بن يحيى قرب الحدود العراقية ـ الايرانية ١٩٨٢:

قال لبرزان: أنتم تخدمون «اسرائيل» فأصدر قراراً بتصفيته!

الطيار نمير أسقط طائرة (بن يحيى) بصاروخ من طائرته الميغ ٢٥ الروسية فانفجرت الطائرة بالجو!

صدام يحضر مجلس فاتحة الضحية ويكتب في سجل التعزية: خسرت شخصياً صديقاً وفياً!!

كان النقيب الطيار نمير يقود طائرة الميغ ٢٥ الروسية على ارتفاع شاهق قرب الحدود الايرانية، كان يحاول ان يبدو طبيعياً! فالمهمة التي كلف بتنفيذها كانت من أغرب المهمات التي تواجهه!

ولكن ماذا يستطيع ان يفعل، وقد وقّع على تعهد بتنفيذ «الواجب»؛ وبينما كان يفكر مع نفسه؛

ـ ماذا لو ردّ عليه الطرف الآخر ؟

ـ ماذا لو لاحظ «العدو» من الجانب الآخر طائرته، وراح فريسة «مبادرة ثورية»؟!

وفكر بمصير خطيئته، التي لم تعرف شيئاً عن (مهمته القذرة)؟

في هذه الاثناء تقدم شاب من (العناصر المخابراتية) التي كانت ترافقه للـ:

ـ الاشراف على تنفيذ العملية أولاً . .

ـ ولتصفيته في حالة تردّده في التنفيذ بطلقة من مسدس كاتم للصوت، جاهز للاطلاق في ذلك الارتفاع الشاهق!

سأله الشاب :

ـ سيّد نمير هل ترى شيئاً؟ لقد لاحظنا هزات خفيفة في الطائرة، مما يدل على وجود بعض العواصف الخفيفة، حاول الطيار ان يبدو طبيعياً وأجاب:

ـ العواصف خفيفة جداً، ولا تؤثر على الطيران اطلاقاً.

ـ إذاً لا توجد عوائق ؟

أجاب : ـ لا . . لا عوائق.

وهنا تلقى اشارات باللاسلكي من الطائرتين اللتين كانتا ترافقانه :

ـ هل الرؤية عندك كافية؟

ردّ بشكل سريع : ـ الى حد ما . .

ولم تمض سوى دقائق حتى بدأت تلوح في الأفق : ـ «الطائرة الصيد».

استعدّ نمير للحظة الحرجة، وكان كل شيء جاهزاً! : وجّه الصاروخ بكل دقة الى (الطائرة الضحية) وما هي إلاّ لحظات حتى: انفجرت الطائرة التي تحمل علم : ـ الصليب الأحمر!

وراحت تتهاوى والنيران تشتعل فيها . .

صفق (عناصر المخابرات الثلاثة) لنمير عالياً، وهم يقهقهون لبراعته غير الاعتيادية في الاصابة الدقيقة للـ«الهدف المعادي»!

أما الطيار فقد حاول الرد بابتسامة، إلاّ ان الصفرة علت وجهه . . وعادت الطائرات في طريقها الى أوكارها.

كانت الطائرة التي فجرها نمير تحمل: السيد بن يحيى وزير خارجية الجزائر . .

كانت الجزائر من الأقطار العربية الاسلامية القليلة التي تحتفظ بعلاقات متوازنة مع كل من : ـ النظام العراقي ـ الجمهورية الاسلامية ـ ايران .

ويقتضي الانصاف الاشادة بدور الجزائر ـ وخاصة في عهد رئيسها الراحل بومدين ـ في جهودها لتسوية الحرب العراقية ـ الايرانية بشكل سلمي، يجنب الشعبين المزيد من الموت والخراب والدمار ويحفظ السلام في الشرق الأوسط . كان الامام (الخميني) قد رحب بمساعي الاشقاء الجزائريين، وباشرت الجزائر جهودها الدبلوماسية التي رفعتها الى أعلى مستوى عندما عهدت الى عميد جهازها الدبلوماسي : السيد بن يحيى وزير الخارجية تولي المهمة بنفسه!

وسرعان ما اضطلع الرجل بها بكل اخلاص وجدّ . .

كان موقف الجزائر معروفاً، فهي لا تخفي ان هذه الحرب تخدم العدو!

وكانت الجزائر لا تنكر انها تتعاطف مع طهران بشكل ما .

كان صدام حتى ذلك الوقت، يعتقد ان كل الظروف تقف الى جانبه، وبالتالي فإنه : منتصر!

كان الغرور قد اصابه الى أقصى حدّ، ولم يعد مستعداً لسماع أي شيء يخالفه في احلامه الرامية الى تأسيس (امبراطورية عربية كبرى) في المنطقة، بعد ان يسحق (الايرانيين المجوس)!

شهادة حية :

لقد اتيح لي بحكم عملي ان أكون شاهداً على عدد من اللقاءات التي تمت بين السيد بن يحيى وبين عدد من أركان النظام الصدامي!

سمعت بأذني وزير الخارجية الجزائري يخاطب برزان التكريتي رئيس جهاز مخابرات النظام قائلاً بما معناه :

دعني أصارحك ان القيادة العراقية تحارب ايران خدمة لمصالح «اسرائيل» سواء أعلمتم أم لا! إننا نعتقد بإن أهداف هذه الحرب :

وقف «المد الاسلامي» الذي يهدد كيان «اسرائيل» وفي نفس الوقت تحجيم قدرات العراق العسكرية، وعليه فأنتم مخطئون في استمرار الحرب!

عليكم ـ أيها الأخ ـ مراجعة أنفسكم . .

غضب برزان كثيراً لهذه المكاشفة غير المتوقعة!

ثم سمعته يتكلم هاتفياً مع مسؤول آخر ـ لم أعرفه ـ قائلاً:

ـ أهذا [بن يحيى] الذي يعتبرونه من خيرة السياسيين والدبلوماسيين البارعين في العالم الثالث؟

ثم شتمه باللهجة العراقية أقبح شتائم!

تولى برزان ابلاغ صدام بما حدث وأضيف الى الملف الخاص بابن يحيى والموجود في (رئاسة الجمهورية) والذي يتضمن معلومات وافية عنه، وكل النقاشات والحوارات التي دارت بينه وبين المسؤولين حول الحرب مع ايران.. ولم يتردد صدام في اصدار حكمه في كلمة واحدة، هي: ـ يصفّى!

الخطة

فور حصول برزان على الضوء الأخضر من أخيه ـ نصف الشقيق ـ استدعى العميد الركن مظهر مدير استخبارات القوة الجوية واجتمع به، ليبلغه صدور قرار بـ: اعدام وزير الخارجية الجزائري!

لم يعقب العميد مظهر على القرار، فهو كعسكري، ليس عليه إلّا: ـ التنفيذ!

وسرعان ما تمّ رسم الخطة التي نفذتها قيادة القوة الجوية وهي تقضي بـ: تسلم القيادة مفتاح الطيران، وخط طيران الطائرة المرصدة.

وتم ارسال طائرتي ميغ ٢٥ روسية لمراقبة الطائرة التي سيتم منها اطلاق الصاروخ القاتل..

وعشية اسقاط طائرة بن يحيى قطعت اذاعة النظام برامجها لتعلن النبأ متهمة: (العدو الفارسي) الغادر بهذه الكارثة الغادرة!

وفي اليوم التالي حضر صدام حسين مجلس الفاتحة الذي اقامته السفارة الجزائرية في بغداد مسجلاً في سجل التعازي الذي فتح في تلك المناسبة الأليمة ما معناه:

ـ لقد خسرت الأمة العربية رجلاً سياسياً، دبلوماسياً فذاً، وخسرت شخصياً صديقاً وفياً.. فإنا لله وإنا اليه راجعون..

(طبق الأصل)!

بطاقة شخصية محمد صادق بن يحيى

ـ ٣٠ كانون الثاني/يناير ١٩٣٢ الولادة في دجدجيلي بالجزائر.

ـ ١٩٥١ ـ انتمى الى الحركة الوطنية وشارك مع أحمد طالب والأمين وغيرهما في تهيئة الأضراب الطلابي الواسع الذي دعت له جبهة التحرير الجزائرية.

ـ ١٩٥٣ ـ نال الليسانس في القانون.

ـ ١٩٥٦ ـ شارك في مؤتمر باندونغ ممثلاً للشبيبة الجزائرية.

ـ ١٩٦٠ ـ اختير وزيراً للمالية ومديراً لمكتب الرئيس عباس فرحات.

ـ كان أحد المشاركين في مفاوضات ميلون وايفان التي جرت بين جبهة التحرير الجزائرية وفرنسا.

ـ ١٩٦٣ ـ عين سفيراً للجزائر في موسكو.

ـ ١٩٦٥ ـ عين سفيراً للجزائر في لندن.

ـ ٢٤ تشرين الأول/أكتوبر ١٩٦٥ خلف السيد بومعزة في وزارة الاعلام.

ـ ١٩٧٠ ـ اختير وزيراً للتعليم العالي والبحث.

ـ ٧٧ ـ ١٩٧٩ ـ عيّن وزيراً للمالية.

ـ ١٩٧٩ ـ اختير عضواً في المكتب السياسي لجبهة التحرير الجزائرية.

ـ ٧ شباط/فبراير ١٩٧٩ عُيّن وزيراً للشؤون الخارجية.

ـ ٣ مايس/أيار ١٩٨٢ قتل بأمر من صدام واشراف برزان على الحدود العراقية ـ الايرانية أثر نصيحته مسؤولي النظام العراقي بايقاف الحرب مع ايران والتي كان مقتنعاً بأنها تخدم الأعداء الحقيقيين للعرب والمسلمين!

أسرار مقتل سعدون غيدان عضو ما يدعى بمجلس قيادة الثورة

سلم صدام وجماعته مفاتيح القصر الجمهوري فكوفئ بقتله بأبشع شكل!!

سلّطت عليه أشعة كيمياوية سبّبت له السرطان!!

الشاب الذي سلط الأشعة قتل طعناً بالسكاكين!!

عندما أعلن تلفزيون بغداد وفاة سعدون غيدان ـ عضو ما يدعى بمجلس قيادة الثورة والوزير لم يثر الخبر استغراب أحد.

فقد كان النظام قد مهد لذلك منذ فترة بأنه مصاب بمرض عضال، وبالتحديد بمرض. . (السرطان). .

من جانب آخر كانت الحرب مع ايران على أشدّها، والناس مشغولون بهذه الحرب التي لم تترك أسرة عراقية إلّا وفجعتها بضحية، بل ان بعض الأسر كان لها أكثر من «شهيد»!

وقلائل هم الذين يعرفون ان سعدون غيدان، لم يمت موتاً طبيعياً، بل انه كان واحداً من ضحايا صدام، هذا رغم انه قدم له خدمات أبسطها انه لولاه لما كتب لانقلاب ١٧ تموز/ يوليو ١٩٦٨ النجاح!! هذا الانقلاب الذي قاده أحمد حسن البكر ومجموعته، فكان ان استثمره صدام حسين لصالحه ليتسلم (عرش العراق) في وقت لاحق، كما هو مشهور!

سعدون غيدان عسكري من عشيرة الكروية وهذه العشيرة تقطن في محافظة ديالى، أصله من الرمادي.. حتى ١٩٦٨، كان برتبة (نقيب)، وكان يشغل منصب آمر كتيبة دبابات القصر الجمهوري.

سياسياً كان قومياً، متحمساً لعبد الناصر ومبادىء الوحدة العربية ولهذا لم يجد عبد الرزاق النايف صعوبة بالتعاون معه.

فذات يوم دعاه النايف الذي كان يشغل منصب مدير الاستخبارات العسكرية في عهد الرئيس عبد الرحمن محمد عارف وقال له:

- أبا (سمرة) الأمور متشابكة، وثمة قوى تسعى لاطاحة الرئيس عارف.
- وما الحل ؟
- ان نتحرك !
- أنا مستعد.. أنا معك في كل شيء تجده مناسباً.

أوضح له النايف ان (البعث العراقي) بقيادة البكر يستعد لتسلم السلطة، بسبب ضعف عارف، وبسبب دعم القوى الأجنبية للبعث العراقي.. وأفهمه انه قرر مشاركة البكر في الانقلاب بالتعاون مع ابراهيم الداود، كخطوة مرحلية، ثم الانقضاض على البكر ومجموعته..

شرح النايف لغيدان ان لديه وثائق تثبت ان صدام حسين وجماعته هم جواسيس وعملاء للماسونية وللأمريكان..

تحمس غيدان للمشاركة في اجتماع لاحق عقد بحضور ابراهيم الداود.. أقسم الثلاثة اليمين على الأخلاص والعمل على انقاذ العراق وهكذا تم اشعار البكر بموافقة النايف - غيدان - الداود فأرتاح كثيراً، لأنهم أركان نظام عارف ومشاركتهم تعني النجاح المؤكد للانقلاب!

في صبيحة السابع عشر من تموز/يوليو ١٩٦٨ كان سعدون غيدان آمر كتيبة دبابات القصر الجمهوري بانتظار الانقلابيين!

قاد الدبابات موجهاً فوهاتها نحو القصر! وأطلق من مدافعها اطلاقات جعلت الرئيس عبد الرحمن محمد عارف يعلن: السلام والاستسلام!

سلم مفاتيح (القصر الجمهوري) الى الانقلابيين بعد ان شاهد (أركان نظامه) يتصدرون الانقلاب ضده!!

الرئيس عارف طلب انقرة مكاناً لمنفاه!

وباشر صدام حسين أعماله:

كان يمضي النهار في القصر الجمهوري بصفته مرافقاً شخصياً للرئيس الجديد: أحمد حسن البكر.

- أما المساء فيقضيه في (قصر النهاية) بهدف انشاء: جهاز مخابرات للنظام الجديد!

كان صدام نائب مسؤول خط (حنين) - الجناح العسكري لحزب البعث العراقي، وكانت أمامه مهمة شاقة هي تحويل: خط (حنين) الجناح السري العسكري للحزب الحاكم الى جهاز مخابرات حديث، يتناسب مع الامبراطورية التي يحلم ببنائها! غير انه ورغم كل المهمات الجسيمة التي أخذها على عاتقه، لم ينس ان مهماته الأساسية ازاحة الآخرين وبضمنهم: أحمد حسن البكر - سيده!

غير ان مهمته العاجلة كانت القضاء على الخصم الخطر الآني: عبد الرزاق النايف وأنصاره: غيدان والداود..!

طلب من انصاره في (خط حنين) ومن ناظم كزار الذي عينه مديراً عاماً للأمن معلومات عاجلة عن سعدون غيدان ونقاط الضعف في شخصيته.. خلال ٢٤ ساعة تجمعت لديه عدة تقارير وهي تجمع على ان أهم نقطة ضعف في سعدون غيدان: النساء!

وخلال ٤٨ ساعة وضع صدام حسين خطة لتصوير سعدون غيدان في احضان إمرأة سيئة السمعة تسكن في منطقة الكرادة الشرقية وتم كل شيء بسهولة!

استدعى صدام «القائد سعدون غيدان» وطلب منه التعاون التام وهدده بالفضيحة!

- أدار له شريط - الفيديو - فأنهار سعدون بعد ان تخيّل ما يمكن ان يسببه انتشار هذا الشريط هنا وهناك..

واعترف لصدام حسين بخطة النايف كاملة، وأبدى استعداده للتعاون في الاطاحة بالنايف - الداود!

وتم ذلك فعلاً في الثلاثين من تموز/ يوليو ١٩٦٨..

جمع حماد شهاب - وزير دفاع النظام - النايف وجميع انصاره على مائدة غداء تتكون من (غزال مشوي)، وبعد الغداء سحب صدام حسين مسدساً في وجه عبد الرزاق النايف وطلب منه مغادرة العراق، (بأمر الحزب والثورة)!!

كان الداود قد أبعد الى الأردن في عملية احتياليه مدبرة! وشارك سعدون غيدان في هذه (المؤامرة الصغيرة)!

ونال غيدان بعد ذلك: ترقيات عسكرية ووظيفية! رقي من رتبة (نقيب) الى (فريق)! وعيّن عضواً في ما يدعى (مجلس قيادة الثورة) وفي خلال سنوات شغل عدة مناصب وزارية بينها: منصب وزير الداخلية، ومنصب وزير المواصلات.

غير ان صدام كان يتحين الفرصة لتصفيته!

فسعدون غيدان ضابط عسكري شجاع، ومعروف وهو طموح وبالتالي فأنه يشكل خطراً على: (الحزب والثورة)!

هكذا كان يردد صدام حسين بينه وبين جماعته المقربين. وجاءت الفرصة الأولى:

ففي عام ١٩٧٣ قام صدام حسين بمحاولته الأولى لتسلم السلطة كاملة! عرفت تلك المحاولة باسم: ناظم كزار!

كان ناظم كزار يشغل منصب مدير الأمن العام للنظام وقد اتفق مع صدام حسين على القيام بانقلاب يستهدف الاطاحة بـ: أحمد حسن البكر وعدد من مؤيديه!

وفشلت المحاولة ـ كما هو مشهور ـ غير انها أدت الى مقتل حماد شهاب وزير دفاع النظام.. وجرح سعدون غيدان..

ظل غيدان وزيراً، مجرداً من الصلاحيات.

وفي ١٩٧٩ استطاع صدام حسين ارغام البكر على التنحي له عن الرئاسة..!

صعد صدام على أشلاء رفاقه الذين عملوا بأخلاص للـ«الحزب الحاكم»!

وواصل صدام تصفية كل من وقف في طريقه.. أو كل من يعتقد انه يشكل خطراً عليه وعلى نظامه في يوم ما!

كان سعدون غيدان يعرف انه مستهدف!

رغم هذا كانت تفلت منه عبارات في بعض السهرات أو الخلوات! ووصلت الى صدام تقارير تشير الى ندم سعدون غيدان لتعاونه مع صدام ضد عارف والنايف معاً!

في تلك اللحظة صمم صدام على تصفية سعدون غيدان وبأقرب وقت.. استدعى برزان الذي كان يشغل منصب رئاسة جهاز المخابرات، وقال لـ:

ـ أدرس لي تصفية سعدون بشكل يبدو فيه وكأنه مات بصورة طبيعية!

ـ نعم سيدي!

كان جهاز مخابرات النظام قد تعاقد مع عدد من الأطباء العالميين، بينهم طبيب ألماني لتنفيذ مثل هذه المهمات القذرة!

استدعى برزان الطبيب الألماني وشرح له (الحالة المطلوبة).. رد الطبيب (الانساني):

! ممكن جداً.. نسلط عليه أشعة كيمياوية معينة تسقط على ظهره، يكون لها تأثيرها في قتل خلايا النخاع الشوكي.. وتم الاتفاق على تحديد الغرفة التي يمكن منها تسليط الأشعة، وكان هذا يقتضي حضور غيدان أسبوعياً الى مقر رئاسة المخابرات!

لم يجد برزان صعوبة في اقناع سعدون غيدان بالحضور الى رئاسة المخابرات بحجة إلقاء محاضرات على عدد من ضباط المخابرات!!

وبعد فترة ظهرت أعراض المرض على غيدان، فما كان من صدام حسين إلاّ أن زاره في داره مواسياً، مقدماً له مبلغاً طائلاً من المال وتذكرة سفر مفتوحة للعلاج في المكان الذي يريد! على نفقة (الحزب والثورة)!!

اختار سعدون غيدان لندن وهناك تأكد له الاصابة بالسرطان، واثناء وجوده في عاصمة الضباب إلتقى بصديق معارض قديم له، بعيداً عن رقابة عملاء صدام واعترف لصديقه: بجريمته في تأييد صدام، واعتبر ان اصابته بالمرض الخبيث هي نوع من العقاب السماوي! قال لصديقه:

ـ يا أخي، أنا نادم على كل شيء، تصور أنني وأنا عضو في ما يسمى بـ(مجلس قيادة الثورة) وهو اسم لا معنى له بوجود صدام، تمنيت ان أكون ولو مستخدماً، أو انساناً بسيطاً يعيش خارج العراق!! لقد حسدت الشخص البسيط الذي قدم لي قدح الشاي في مبنى سفارة النظام هنا في لندن!

ولم يمض وقت طويل حتى مات سعدون غيدان، وشيع تشييعاً رسمياً سار فيه أركان نظام صدام حسين!!

ولقد تتبعت عملية الأشعة الكيمياوية فتبين لي ان برزان عهد بتنفيذها الى أحد الشباب العاملين في مجال الأشعة فوق البنفسجية وعلى الحاسبة الخاصة بالمخابرات..

هذا الشاب يدعى: (حياد خالد). وهو ابن أخ (سعدون مصلح) الذي شغل منصب مدير مكتب صدام لفترة طويلة.

وعلى طريقة (ألمافيا) وجد (حياد خالد) هذا بعد ذلك، مقتولاً طعناً بالسكاكين في

غرفته بعد ان أوفد في دورة خاصة الى لندن . .

ارتاح صدام حسين وأغلق ملف سعدون غيدان . . غير ان ملفات كثيرة لا تزال موجودة بين يديه!

فصدام لا يمكن ان يبقى إلّا والدماء تسيل في مكان ما . . سواء أكان بقربه . . أم في مكان بعيد . .

ألم يعلن ان (ذراعه) طويلة، ويمكنها ان تمتد الى أقصى مكان؟!

طارق حمد العبدالله الوزير ومرافق البكر:

صفّاه علي حسن المجيد لأنه وقف على أسرار صدام!

قتل على يد قناص ودفعت الدولة مصروفات الفاتحة!

البيان الرسمي زعم انه انتحر لاصابته بداء الكآبة!

فوجىء مستمعو إذاعة بغداد ذات يوم ببيان رسمي، غير اعتيادي.. خلاصة البيان ان الحكومة العراقية تنعي السيد طارق حمد العبدالله الذي وافاه الأجل منتحراً بواسطة مسدسه الشخصي وفي مكتبه بداره!

أضاف البيان: ان المرحوم العبدالله كان يعاني في الآونة الأخيرة من كآبة نفسية، وقد توفي على الفور، عندما اخترقت الرصاصات رأسه.. الخ..

وقد أقيمت الفاتحة على روحه في أكثر من مكان وبأمر رسمي.

وشيعت جنازته تشييعاً رسمياً شارك فيه عسكريون ومدنيون..

وقبيل اعلان البيان . . كانت الشائعات قد سرت، وراح الناس يتهامسون:

انـتـحـار ؟

لماذا ينتحر هذا الرجل وهو مسؤول عسكري ومدني له وزنه؟

لماذا ينتحر وهو أب لأسرة تكن له الاحترام والود، ولا توجد لديه أية مشكلة على

الاطلاق!

لا مشكلة اجتماعية . .

ولا مشكلة مالية ولا غيرها !

إذاً ما السرّ وراء انهاء حياة هذا الشخص المعروف؟

وماذا وراء هذا البيان الرسمي . . وما سرّ (الكآبة النفسية)؟

طارق حمد العبدالله عسكري، ينتمي الى عشيرة المحامدة من أهل الفلوجة .

ولد في بداية الثلاثينات وانخرط في الكلية العسكرية فأنهى الدراسة فيها بشكل مرضٍ، وفي الستينات انتمى الى (حزب البعث العراقي) وقد وجد فيه أحمد حسن البكر ضالته المنشودة، كان البكر يجمع حوله الضباط الذين يتوسم فيهم الذكاء والشجاعة والكتمان والألمعية وعندما قام البكر ومجموعته بانقلاب تموز/ يوليو ١٩٦٨ كان العبدالله لا يزال (ضابط مشاة) عادياً .

وقد طلب من حماد شهاب ـ وزير دفاعه ـ اختيار مرافق له، فرشح له ثلاثة من الضباط التكريتيين وأثنين من الرمادي، وقد وقع اختيار البكر على طارق، بعد ان لمس فيه مواصفات معينة، بينها الكتمان والذكاء والثقافة الواسعة .

وسرعان ما حاز على ثقة رئيسه مما جعله يمنحه الامتيازات والاغراءات المالية وغير ذلك .

صدام يتخذ البكر واجهة !

في الجانب الآخر كان صدام حسين يخطط لتسلم «رئاسة الجمهورية» فبالنسبة له كان أحمد حسن البكر عبارة عن :

ـ لافتة أو واجهة أو مرحلة قصيرة سيجتازها بأسرع وقت . لقد بدأ صدام مخططه قبل انقلاب تموز/ يوليو ١٩٦٨ !!

فعندما حدثت خلافات داخل حزب البعث في سوريا أواسط الستينات، انتهز صدام الفرصة فهرع الى البكر قائلاً :

ـ النظام في العراق ضعيف . . الأطراف القومية هزيلة . . والبعث تشرذم في سوريا . . قال له البكر : وما الحل؟

ـ نشكل (قيادة قطرية) تكون أنت أمينها العام ورئيسها !

وافق البكر، وشكلت القيادة وباشرت العمل ثم اقترح انشاء مكتب عسكري برئاسة البكر . .

وافق البكر أيضاً وتولى هو منصب نائب مسؤول المكتب العسكري . . ثم اقترح عليه انشاء تنظيم عسكري سري عرف فيما بعد باسم :

ـ خط حنين . .

وافق البكر على كل مقترحات صدام، خاصة وأنه المسؤول الأول عنها! أما صدام فكان نائبه دائماً . . يتخذ البكر ستاراً له!!

كان (خط حنين) نواة جهاز مخابرات النظام!

وكان صدام المخطط له وباني أسسه حجراً حجراً في (قصر النهاية)!

فبعد انقلاب تموز/يوليو ١٩٦٨ كثرت اعباء البكر كرئيس للجمهورية وقائد عام للقوات المسلحة وغير ذلك من الأعباء الواسعة . واضحى صدام المسؤول الحقيقي للحزب والدولة!

عندما وقع اختيار البكر على طارق العبدالله مرافقاً له كان الأمر يقتضي حصول موافقة : المكتب العسكري للحزب .

استدعى صدام طارقاً وفتح معه حواراً واسعاً فوجده يمتلك ثقافة واسعة . .

ثم استدعى ناظم كزار مدير أمنه العام وطلب منه وضع طارق العبدالله تحت المراقبة الكاملة مدة أسبوع، واعداد تقرير يتضمن :

ـ نقاط الضعف السلبية الموجودة عنده! من هذه النقاط :

ـ حب المال، الجاه، النساء، القمار . . الخ . .

ولم تمض سوى ثلاثة أيام حتى جاء كزار الى صدام ليقدم له التقرير المطلوب!

كانت خلاصته :

ـ ان (النساء) نقطة الضعف الكبرى عند هذا الضابط الكفوء، الذكي!!

ولم يضيع صدام وقته! وسرعان ما حصل على شريط (فيديو) يصور طارق العبدالله في احضان احدى الساقطات المشهورات!

ومرة أخرى استدعى العبدالله! وعندما حضر طلب منه ـ باسم المكتب العسكري للحزب الحاكم ـ ان يكون عيناً على البكر! وان يقدم له تقارير يومية عن كل تحركات سيده واتصالاته، بل ان يسجل هذه الحركات . .

- غضب العبدالله ونهض رافضاً هذا الطلب التجسسي، بل صرخ في وجه صدام قائلاً:

- اخسأ أنا ابن عشائر، لا أقوم بمثل هذا العمل الرخيص لولي نعمتي و. .

وقاطعه صدام بهدوء قائلاً:

- اهدأ، يا أبا زياد قليلاً لأعرف رأيك ورأي زوجتك وعشيرتك بهذا الشريط!!

أدار صدام شريط (الفيديو) بعد ان أطفأ نور الغرفة:

فصرخ العبدالله: دخيلك أبا عدي. . أنا مستعد لكل ما تريد. . هذا الشريط يخرب بيتي وسمعتي. .

سرّ صدام بهذه النتيجة بعد ان وافق طارق ان يعمل لصالحه ومقابل ذلك اغرقه بالأموال والامتيازات والترقيات. .

وفي خلال سنوات قصيرة، أصبح طارق العبدالله يملك معلومات خطيرة عن الطرفين معاً!

عن البكر الذي يعمل كمرافق له. . وعن صدام الذي يوجهه. .

كان كلما عرف المزيد من المعلومات والأسرار يشتد حزنه الى ما وصل اليه العراق. .

درس العبدالله في كلية الأركان وتخرج منها وكانت آخر رتبة عسكرية شغلها: عميد ركن. أما المناصب الرسمية التي تولاها فكانت:

- رئاسة ديوان رئاسة الجمهورية - وزارة الصناعات الخفيفة.

وزير بلا صلاحيات

أذكر أنني زرته في مكتبه الرسمي بوزارة الصناعات الخفيفة وقد رحب بي بتواضعه الجمّ المعروف وسألني عن والدي وأسرتي حيث نرتبط بصلات عائلية، وبعد ان احتسيت قدحاً من الشاي قدمت له طلباً بأسم والدي لتجهيزه بجرار للمزرعة. .

طوى طارق الطلب وهمس في أذني قائلاً:

- أنت تعرف انني لا أملك أية صلاحيات هنا!! أنتم - يا مزهر - ضباط الحرس والأمن الخاص لديكم امكانات وصلاحيات أكبر وأكثر من الوزراء!!

ومضى يعتذر قائلاً:

- ان والدك - الشيخ - لا يصدق اذا قلت له انني لا استطيع تقديم اسمه أو التوصية بالاسراع في تسليم الجرار. . صحيح انني وزير ولكن صلاحياتي لا تتعدى صلاحيات الجنود!! اننا كجنود الشطرنج، يحركنا (الرئيس - الله يحفظه) كما يريد!

قال هذا بعد ان تلفت مشيراً الى صورة صدام الكبيرة التي يجلس تحتها!!

وعرفت فوراً انه صادق، وانه مجرد من الصلاحيات، وان كل الأمور بيد حسين كامل صهر صدام وزوج ابنته، (ووزير صناعاته العسكرية).

وعندما ودعني قال لي أخبر الوالد انني كما يقول المثل الشعبي:

- اسمي بالحصاد ومنجلي مكسور!!

وقبل ان أتركه همس في أذني مرة أخرى قائلاً:

- أنت تعمل في المخابرات والأمن، لا تنس انك ابن عشيرة، وابن حمولة! وانصحك: انك كلما رقيت، وكثرت معلوماتك السرية، كلما قصرت حياتك أو عشت بقية حياتك في جحيم الرعب والخوف!

وظلت كلماته ونصائحه تقرع أذني!

وعندما أعلن البيان الحكومي وفاة طارق العبدالله، منتحراً بمسدسه الشخصي، بسبب داء الكآبة. . كما قيل عرفت فوراً انه صُفّي. . لأنه عرف الكثير عن صدام ونظامه وتذكرت نصيحته لي!

فور صدور البيان الرسمي الزاعم انتحار العبدالله توجه علي حسين المجيد مدير الأمن العام في حينه الى دار الضحية، وفور دخول البيت نادى زوجة القتيل قائلاً:

- اسمعي يا سيدتي. . زوجك انتحر لأسباب نفسية تخصّه، وأي حديث آخر سيكون شائعة مغرضة، تستحق أقصى العقاب!

وواصل حديثه التهديدي قائلاً:

ورغم ان الحادث انتحار، فأن السيد الرئيس - الله يحفظه - أمر باعتباره شهيداً، وستمنحون مرتب الشهيد ومخصصاته، وكل مصروفات الفاتحة التي ستقام منذ الغد، في جامع ١٤ رمضان ستتولى الدولة تسديدها!

قال هذا وخرج. .

في مساء اليوم نفسه، زرنا عائلة المرحوم العبد الله - ولم

تستطع زوجته ان تتستر على الجريمة. . زرنا الغرفة التي قيل انها شهدت عملية الانتحار، فاذا بي أرى زجاج شباكها مهدماً!

قلت لزوجة الفقيد: ما هذا؟

قالت: مكان اطلاقة! انظر الى الدماء التي لطخت الحائط المقابل! لقد ضربه «قناص» من الدار المقابلة لنا، ونظراً لقوة الضربة، فقد اخترقت رأسه من الخلف وخرجت من أمام جبينه!

رجوتها ان تسمح لي بمحاولة العثور على الرصاصة، واستطعت فعلاً اخراجها، وتأكد لي انها اطلاقة قناص محترف. .

كانت زوجة الفقيد في غاية الغضب والارتباك فرجوتها اغلاق دارها والاكتفاء بمراسم الفاتحة «الرسمية».

بعد ذلك حاولت الاستعانة بضابط مكافحة الاجرام لحي المنصور - مكان الحادث - إلاّ أنه خشي العاقبة.

ومن خلال تتبعي للقضية تبين لي ان أمر التنفيذ صدر من علي حسن المجيد مدير الأمن العام - والذي كان في حينه مسؤولاً عن التصفيات الجسدية!

اختار المجيد أحد عناصره المحترفين، وقد كمن هذا في الدار المقابلة لدار العبدالله، وهي دار مهجورة كانت تسكن فيها عائلة من معارضي النظام، ونتيجة ذلك سفّر جميع أفرادها الى ايران بحجة انهم من ذوي (التبعة الايرانية)! ومنذ ذلك الوقت استحوذت مديرية الأمن العامة على هذا البيت لمراقبة العبدالله. .

أقام - القناص - في الدار المهجورة عدة أيام حتى واتته اللحظة المناسبة فوجه رصاصه الى الضحية!

وبعد فترة من انقضاء الحادث اتيح لي الاطلاع على وصية طارق العبدالله. وهي وصية طويلة تضمنت سيرته، موجهة الى أطفاله ومما جاء فيها:

لقد عملت طيلة فترة وجودي مع أحمد حسن البكر كمراقب عليه، كنت أعمل لحساب نائبه صدام حسين، ووصلت الى درجة ان أحمد حسن البكر - رحمه الله - أصبح يمنحني كامل ثقته. .

وفي أحد الأيام وجدت البكر منزعجاً جداً. . وعندما سألته عن أسباب هذا الانزعاج اعترف لي قائلاً:

- للأسف الشديد ان أمور البلد أصبحت بيد صدام والماسونية، لقد نقلت بدوري ما تفوه به البكر الى صدام، وعلى أثر ذلك قتل أحمد حسن البكر عن طريق أبرة مسمومة زرقه بها طبيبه الخاص.

وفي ختام الوصية يقول العبدالله:

اعرف أنني سأموت اليوم أو غداً. . ان مت فالذي يقتلني هو صدام، لأنني وقفت على أدق أسراره. . وعرفت لحساب من يعمل؟.

أسرار مقتل عدنان خيرالله وزير دفاع النظام

تفجر الصراع بين عدنان وحسين كامل فانتصر صدام لصهره المدلل!!

عدنان عارض صدام فصفاه !

اكتشف صدام ان عدنان مرشح للرئاسة فأنهاه!

في الساعة الرابعة من بعد ظهر الخميس الموافق الخامس من أيار/ مايو ١٩٨٩ سقطت طائرة عدنان خيرالله وزير دفاع النظام قرب مدينة مخمور في شمال العراق مسفرة عن مقتله.

وبوفاته انطوت صفحة أخرى من مسلسل التصفيات والآلام الذي بدأ مع تسلّم صدام حسين وزمرته مقاليد السلطة اثر انقلاب تموز/ يوليو ١٩٦٨.

سيرة عصامي

ولد عدنان خيرالله طلفاح في تكريت في ٢٣ أيلول/ سبتمبر ١٩٤٠ في أسرة فقيرة وقد أصبح لهذه الأسرة شأن كبير في وقت لاحق: فقد اقترنت أخته ساجدة من صدام حسين.. وخيرالله ـ والد عدنان ـ شقيق صبحة أم صدام..

درس عدنان الابتدائية في مدرسة صلاح الدين في تكريت وانهاها في ١٩٥٣ في نفس السنة عيّن والده معلماً للتاريخ في مدرسة البحتري في محلة التكارتة في كرخ بغداد.

أتم دراسته المتوسطة في الكرخ (١٩٥٦) والثانوية في (١٩٥٨) حيث دخل الكلية العسكرية وتخرج منها (١٩٦١) ضمن أفراد الدورة ٣٧ والتحق أيضاً بكلية الأركان وتخرج منها (١٩٧٠) ضمن أفراد الدورة (٣٦)، أي بعد انقلاب تموز/ يوليو ١٩٦٨.

عمل عدنان في صنف الدروع وفي كتيبة دبابات المنصور، وكان آمره عبدالجبار الخربيط.. نقل بعدها الى الشمال وهو برتبة ملازم أول. وكان قد شارك في انقلاب شباط/ فبراير ١٩٦٣ ضد عبدالكريم قاسم. في ١٩٧٣ نال ليسانس في القانون والسياسة من الجامعة المستنصرية، وكذلك على ليسانس في الأدب الانجليزي.

في ٢٣ كانون الثاني/يناير ١٩٧٧ عيّن وزيراً للدوّلة وفي ٤ أيلول/ سبتمبر من السنة نفسهاأعفي من منصبه وعيّن عضواً فيما يدعى بـ(مجلس قيادة الثورة) و(القيادة القطرية لحزب البعث العراقي) وفي السنة عينها اختير وزيراً لدفاع النظام.

ووزارة الدفاع منصب حساس ولم يسلم أحد ممن شغل هذه الحقيبة!:

ـ حردان عبدالغفار التكريتي اغتيل من قبل مخابرات النظام العراقي أمام مبنى المستشفى الأميري في الكويت!

ـ حماد شهاب التكريتي اغتيل خلال المحاولة الانقلابية التي قام بها ناظم كزار مدير الأمن العام بالتعاون مع صدام حسين.

ـ أحمد حسن البكر رئيس الجمهورية تولى وزارة الدفاع عدة سنوات لغاية ١٩٧٧ عندما قرر تسليمها الى صهره عدنان.

كان عدنان خيرالله طياراً ـ طيار مروحية ـ وعندما تولى الوزارة رقي الى رتبة فريق أول ركن طيار.

لم تمض سوى ثلاث سنوات على أشغاله وزارة الدفاع حتى فجّر صدام حربه مع ايران..

كانت لعدنان مسؤوليات كبيرة، بحكم موقعه وتماسه مع قادة الجيش وكونه عسكرياً حقيقياً فقد كان يتفهم ما يحدث من مشكلات صغيرة في صفوف العسكريين، وعرف بتسامحه وبساطته.

تأخر أعلان نبأ مصرع عدنان رسمياً، والسبب كان عدم تمكن أحد من كبار المسؤولين الاتصال به هاتفياً! لقد عزل نفسه في خلوة يفكر:

ماذا فعل بأبن خاله وصهره الذي علمه مبادىء القراءة والكتابة قبل ان يدخل المدرسة متأخراً!!

وبعد طول ترقب وانتظار أذيع البيان الرسمي المقتضب، واعلن الحداد، فكانت مسرحية لم يحسن المخرج اتقان اخراجها!!

كنت اترقب وقوع الحادث الجلل، غير انني لم استطع تلافيه.. كنت اتمزق داخلياً لأنني لا استطيع ان أفعل شيئاً يمنع تلك الجريمة الوحشية!

جريمة قتل انسان..!

بعد سقوط الطائرة بثلاثة أيام زرت اللواء نايف كصب الجنديل في مستشفى الرشيد العسكري. كان حادث مصرع عدنان حديث الشارع، وكنت أعرف تفاصيله، بل على علم به كما أشرت قبل قليل.

واللواء نايف من وجهاء عشيرة الجنابيين التي تنتشر على ضفاف نهر الفرات، وهو قائد عسكري مرموق، محترم سبق له ان شغل منصب آمر بطارية مدفعية في ديالى، ثم آمر مدفعية الفيلق الثالث والسابع وبعد احالة الفريق الركن ماهر عبدالرشيد على التقاعد ـ اثناء الحرب مع ايران ـ عيّن اللواء نايف آمراً لصنف الصواريخ وأشرف على صواريخ العباس والحسين.

في غرفته بالمستشفى كان اللواء نايف في غاية التأثر لمقتل عدنان خيرالله، وراح يروي لنا شيئاً من مواقفه النبيلة ويحلل أسباب تصفيته ومما رواه لنا:

ـ أذكر ان لجنة الاعدامات ـ سيئة الصيت ـ حكمت أحد قادة الألوية بالاعدام رمياً بالرصاص. وكان الحكم مجحفاً، فآمر اللواء الذي صدر بحقه هذا الحكم الجائر قد ظُلم. يومها كانت الأمور بيد ماهر عبدالرشيد واللجنة تتلقى التعليمات من اثنين:

ـ صدام حسين. أو حسين كامل..

أوفدني ماهر الى بغداد، طلب مني ابلاغ وزير دفاع النظام، وكان الوقت حرجاً، لأن موعد تنفيذ الحكم الظالم:

ـ في صباح اليوم التالي، وفي نفس موقع مقر اللواء!

اضاف اللواء نايف قائلاً:

- غادرت البصرة مساء وفي الساعة الرابعة فجراً وصلت مقر وزارة الدفاع، توجهت الى مكتب الوزير ووجدت أمامه كرسياً كبيراً تمددت عليه وأخذني النعاس بعد هذه السفرة الشاقة، وفوجىء بي مدير مكتب الوزير فأبلغ الوزير فور قدومه فاستدعاني مستفسراً عن أسرار هذه الزيارة اللااعتيادية. قلت:

- جئتك من قبل الفريق الركن ماهر. نطلب عطفك على آمر اللواء(...) لأنه من خيرة الضباط وله اطفال،جئت وموعد التنفيذ سيتم خلال ساعات ان لم تمد له يد النجدة.

أضاف نايف:

- قال الوزير بعد ان شرحت له القضية: لا أقبل ان يقتل أحد ظلماً. لا ارتضي اعدام ضابط أو قائد نتيجة خطأ أو اجتهاد علينا ان نتسامح. وأمر بالغاء الحكم فوراً والافراج عنه وبابقائه في منصبه..

لقد كانت مكرمة منه بالنسبة لي.

أضاف قائلاً:

- سمعة عدنان جيدة جداً في القوات المسلحة، لقد كان محبوباً وهذا هو السبب الذي جعل حسين كامل يحقد عليه، ويقتله..

هنا سألته: كيف؟ هل يستطيع ان يحدد لنا؟

قال: أنا أعرف عدنان جيداً. لقد كان غير مرتاح لتسلق حسين كامل وبشكل صاروخي لسلم الوظائف والامتيازات الخيالية لمجرد مصاهرته صدام! كان عدنان يقول:

حسين كامل طفل، ونحن لسنا بحاجة الى أطفال في القوات المسلحة يتحكمون في مصائر قادة معروفين في الوسط العسكري. ان الخلاف الذي حصل بين عدنان وحسين يجعلني اقتنع بأن حسين قتل عدنان خيرالله.

صمت نايف قليلاً ليتناول حبة دواء مع كأس ماء، ثم واصل حديثه الخطير قائلاً:

كانت معارك (جزر مجنون) قد وصلت ذروتها، وكانت القوات الايرانية قد احتلت بعض هذه الجزر الاستراتيجية الواقعة في الأهوار.. كان الوضع محرجاً.. كنا نقدم تضحيات كثيرة، وكنا نعاني الكثير بسبب الضحايا الذين كانوا يتساقطون دون ان نستطيع تعويضهم، ثم اضطررنا الى تكوين سرايا لتعويض النقص الحاصل من البشر

أو المعدات اثناء الهجمات المعادية.

كان للقوات الخاصة دور فعّال في هذه المعارك حيث حققت انتصارات جيدة عبر الهجمات المكثفة، السريعة التي قام بها أفرادها عبر الزوارق المائية..

ثم دخل حسين كامل على الخط.. وصمت نايف قليلاً ليتأكد من عدم تنصت آخرين الى حديثه، ثم واصل قائلاً:

كان عدنان يطلق على حسين كامل اسم: العبقري..

وطبعاً كان هذا من أجل السخرية منه، فحسين لا يفهم أي شيء من الشؤون العسكرية أو الحربية واشتد الخلاف بين حسين وبين قادة الجيش وفي مقدمتهم: ماهر عبدالرشيد.

روى لنا نايف تفصيلات عن تصرفات حسين وخزعبلاته غير المقبولة ومنها:

انه جاء الى الخطوط الأمامية لينفذ خطة لعبور نهر صغير يدعى: - نهر جاسم..

كانت الخطة مستحيلة التحقيق، وهي تؤدي الى خسائر بشرية فوق الطاقة، وهذا أدى الى رفضها من قبل القادة العسكريين، ذوي الخبرة والممارسة، وأدى الرفض الى ان حسين كامل أصدر أوامر بـ:

١ - اعدام آمر اللواء المشاة.

٢ - اعدام تسعة من خيرة الضباط.

٣ - يتم احراق المعدومين بتفجيرهم في سياراتهم..

عندما تسربت انباء هذه المجزرة جن جنون قادة «الفيلق الثالث» وصرخ أحد أمراء الألوية قائلاً:

- سأعلن العصيان اذا استمر هذا التافه بأعماله الاجرامية.

وسحب حسين كامل مسدسه الشخصي وأطلق النار على هذا الضابط الشجاع فأصابه في كتفه.

اشتد الخلاف فاتصلت أنا شخصياً - الحديث ما زال لنايف - بوزير الدفاع.. كان عدنان في تلك الساعة في مقر قيادة الفيلق السابع وبالتحديد كان في المقر الخلفي ولقد شرحت له خطورة الموقف أثر التصرفات الصبيانية التي قام بها حسين كامل.

وبعد نحو ساعة ونصف الساعة اصطحبنا عدنان خيرالله ليطلع بنفسه على المأساة!

كانت الجثث المحروقة تثير الشجون.. وكان صراخ الضباط والجنود الموجودين

واضحاً يبعث على الآلام . . !

وتخيل كل منا مناظر أطفال الضحايا وأسرهم . .

احتقن وجه عدنان وكان الألم واضحاً على معالم وجهه وسرعان ما تحول الى غضب حقيقي .

كان حسين كامل لا يزال موجوداً، بعد ان أشرف على احراق جثث القادة العسكريين الأبرياء، وكانت علامات الارتياح تعلو وجهه، دون ان يكترث لبكاء من حوله من الضباط أو ضباط الصف أو الجنود . .

ولم يتمالك عدنان نفسه، بل توجه الى حسين كامل قائلاً له ما معناه :

- حسين أنا أعرفك منذ صغرك . . أنت نذل وساقط خلقياً وناقص . .

ولم يكتف بذلك بل طلب منه ان يترك غرفة العمليات التي كان يجلس فيها . . طرده قائلاً :

- أخرج وإلّا أمرت بقتلك هذه اللحظة غسلاً للعار !

انك عار على العائلة منذ ان كنت صغيراً، ويبدو انك ما زلت تشكل عاراً عليها حتى الآن!

غادر حسين الموقع وقبل ان يتركه قال :

- عدنان سوف يأتي اليوم الذي تدفع فيه الثمن غالياً . .

رد عليه عدنان قائلاً :

- أخرج وأفعل ما تشاء، فالعمر بيد الله، لا بيدك . .

عقب حسين قائلاً : سوف ترى .

وعندما ترك حسين المكان نهائياً، استمر عدنان في غضبه قائلاً ما خلاصته :

- الذي يؤسفني ان يتحكم بالقادة العسكريين العراقيين أشخاص لا قيمة لهم ولا أي وزن خلقي ولكن رغم هذا : الله فوق كل شيء وهو أرحم الراحمين . . وسيأتي اليوم الذي ينتقم فيه الله لهؤلاء الأبرياء الذين قتلهم هذا المجرم، ظلماً وعدواناً، وبطريقة بشعة، لا انسانية .

عقب ماهر عبد الرشيد قائلاً :

- انه ساقط خلقياً، لديه شعور بالنقص . . لقد أحرق هؤلاء الأبرياء بطريقة شنعاء، وجاء له الجنود يخبروه ان الضحايا كانوا يصرخون :

الرحمة . . الله أكبر . . ارحموا أطفالنا . .

فلم يكترث حسين لتوسلاتهم، بل جعلهم يذهبون طعمة للنار .

أضاف اللواء نايف قائلاً :

- لقد قلت لوزير الدفاع انني أخشى عليك من هذا المراهق - أعني - حسين كامل فضحك وقال :

- الله موجود . . والأعمار بيده . واضاف :

- والله الأفضل ان يموت الانسان، قبل ان يرى ظلم أخيه الانسان . . انها أعمال بربرية لم يفعلها عدو من قبل!

من هنا بدأ الخلاف واشتد بعد ذلك :

بدأ نجم عدنان يصعد وزدا رصيده داخل القوات المسلحة والجيش، وازدادت سمعته الطيبة بين أفراد الشعب العراقي الذين تعلقوا به بسبب مواقفه الانسانية وطيبته .

عمل انساني

روى لي الرائد صائب نعمان - الطيار الخاص لعدنان قائلاً :

- ذات يوم جاءت امرأة عجوز تبحث عن عدنان خيرالله في مطار المثنى العسكري الواقع في قلب بغداد قال صائب :

كنت حينها موجوداً، ولما طلبت العجوز قلت لها :

- يا حاجة : ان الوزير ليس له مكتب للمقابلات الشخصية هنا، أذهبي الى الوزارة، ثم أخبريني الآن ما سبب طلب المقابلة؟

قالت : لي ولد يدرس في يوغسلافيا هندسة المناجم، وقد قام وزير التعليم العالي بقطع الحوالات المالية التي تصل اليه، مطالباً اياه بالعودة الى الوطن . . علماً بأنه طالب يدرس على نفقته الخاصة .

يقول صائب أخبرتها ما يلي :

- يا حاجة هذا ليس من اختصاص الوزير .

أجابت : اعرف يا ولدي انه ليس من اختصاصه، لكن الجميع اخبروني أنه مؤدب

ومحب لعمل الخير ومساعدة الجميع، ان أحد أولادي جندي وقد أخبرني ان عدنان هو أحسن الوزراء وأكثرهم طيبة وشهامة.

قال صائب: لم أملك إلّا ان أقدم لها يد المساعدة.. صحبتها الى الوزارة وأدخلتها الى الوزير بعد ان افهمته حكايتها.. فاستقبلها قائلاً:

- لا أعرف ماذا أفعل من أجلك، والقضية لا تتبع وزارتي..

أجابت قائلة:

- يا ولدي هل تقبل ان يعيش أخ لك في الغربة معوزاً، بلا أكل أو شرب؟

رد عليها عدنان قائلاً: أبداً يا حاجة، لا أقبل اهانة العراقي لا في خارج العراق ولا في داخله.. لكن ليست كل الأمور بيدي.

وأوعز وزير الدفاع بالكتابة الى وزارة التعليم العالي بـاعادة فتح ملف الطالب المقصود، لأن غلق الملف كان بحجة انه - الطالب - كان مطلوباً لتأدية خدمة الاحتياط وحلت المشكلة فعلاً.

لقد اشتد الخلاف بين صدام حسين وعدنان خيرالله.. فقد كان نجم حسين كامل يصعد، وكان صدام يعتبر آراء حسين هي الأساسية والنهائية، وهكذا أصبح حسين مدلله. وراح العراقيون يتهامسون فيما بينهم عن الخلافات التي كانت واضحة بـين صدام وعدنان.

وتشاء الصدف ان أكون قريباً في أحد الأيام منهما لأسمع بأذني عتاباً له مغزاه دار بينهما!

كان صدام حسين وعدنان خيرالله يجلسان في قصر صدام الواقع على بحيرة الحبانية بالقرب من المدينة السياحية..

ولم تكن المسافة بيني وبينهم تتعدى الأمتار عندما سمعت صدام يقول لوزير دفاعه: عدنان انني اعتب عليك كثيراً..

رد عدنان بهدوء: بأي خصوص يا سيدي؟

- بخصوص خلافك مع حسين.

قال عدنان مجيباً:

لم أفعل شيئاً إلا في محله.. يا سيدي أنا لا أوافق على تصرفات حسين الصبيانية، انه يتدخل بشؤوني وأنا وزير دفاع مسؤول عن أفراد القوات المسلحة كافة.. لقد أعدم

كوكبة من الضباط الأكفاء الأبرياء.. لقد أحرقهم دون ان يرتكبوا ذنباً وهم جميعاً أفضل منه عملاً وسلوكاً واخلاقاً.

انفعل صدام ورد قائلاً:

- أنا لا أوافق على هذا الكلام وأرفضه جملة وتفصيلاً!

يجب ان يحترم حسين كامل.. لأنه موضع ثقتي.. ومن لا يحترم حسين كامل لا يحترم صدام حسين.. انه عسكري وقيادي.

انزعج عدنان من موقف صدام الصريح وأجابه:

- أبا عدي.. هل تضع حسين - وأنت تعرفه وتعرف محدوديته، في كف واحدة مع قائد عسكري أفنى عمره في خدمة الجيش والوطن؟

قال صدام بحزم وجدية:

- حسين كامل أفضل من ٩٠ في المائة من قادتك العسكريين.

لم يجد عدنان سبباً للبقاء بعد اصرار صدام على احتضان حسين فاعتذر مغادراً..

بـدء الـخـلاف

كانت خلافات عدنان خيرالله مع صدام حسين بدأت عندما قام عدي نجل صدام بزيارة هيثم أحمد حسن البكر وهو متزوج من احـدى بنات خيـرالله طلفاح - أخت ساجدة زوجة صدام وأمر عدي هيثم بأن يطلق زوجته فأمتنع الأخير، وفي احـدى المرات زار صدام نفسه منزل هيثم، وهو الذي كان يسكنه أحمد حسن البكر سابقاً بالقرب من القصر الجمهوري على نهر دجلة، فخرج هيثم من الباب الخلفي، وترك المنزل في الوقت الذي كان الرئيس صدام ينتظره في الصالون..

هذا الموقف أدى الى غضب صدام فأرسل عدي اليه لينقل اليه الأمر غير القابل للنقاش: الطلاق أو القتل..

وفعلاً تم الطلاق رغم وجود أطفال لهيثم من زوجته.

بعد طلاق ابنة خيرالله من هيثم تزوجها وطبان ابراهيم أخ صدام نصف الشقيق وزير داخلية النظام حالياً، وشقيق برزان.

هذه الحادثة فجرت غضب عدنان خيرالله الذي أكد لصدام - وجهاً لوجه - ان ذلك

العمل مرفوض شرعياً وقانونياً واخلاقياً. فالمرأة تحب زوجها ولديها أطفال. فعلى أي أساس يتم الأمر بتطليقها ؟

أجاب صدام بأن مصلحة العائلة اقتضت ذلك، والمرأة تزوجت فلا حاجة لاثارة المسألة.

نقاش ستراتيجي !

كان عدنان واحداً من القلة الذين يجرأون على مناقشة صدام !

فبينهما صلات قوية جداً، ليس فقط لأن عدنان هو ابن خال صدام وصهره، بل لأن صدام مدين لعدنان مادياً ومعنوياً.. فصدام ربيّ في دار عدنان وكان والد عدنان ينفق عليه في كل شيء!

وأكثر من هذا تولى عدنان تعليم صدام مبادىء القراءة والكتابة قبل ان يدخل صدام الى المدرسة متأخراً !

اعترف صدام بأن عدنان علّمه الأبجدية على رمال مدينة تكريت!

في ١٩٨٣ احتد نقاش بين عدنان وصدام حول أمور تتعلق بالجيش وبعض المسائل.

كرر عدنان على مسامع صدام ان لجنة الاعدامات في كافة خطوط القتال الخلفية تمارس اجراماً، لأن الجنود والضباط في هذه الخطوط يضطرون للتراجع نتيجة اصاباتهم أو تفادياً للأسر.

رد عليه صدام قائلاً:

ـ أنه من الأفضل ان يقعوا في الأسر على ان يتراجعوا الى الخطوط الخلفية، فأوضح عدنان ان ذلك الأسلوب قد يشجع الجنود على رفع راية الاستسلام فيقعوا في الأسر بدلاً من الأعدام الذي ينتظرهم في حال التراجع الى الخطوط الخلفية.

في نهاية النقاش قال صدام: عدنان، هذه سياستنا، ومهمتك تنفيذ أوامر القائد العام (أي صدام نفسه)..

هنا تدخلت ساجدة لانهاء النقاش!

الفاو

في عام ١٩٨٦ احتل الايرانيون الفاو فسبب هذا الاحتلال هزيمة مريرة (لبطل القادسية).. فأصدر أوامر بتحريرها بأقصى ما يمكن، حتى انه أعد قوات نظامية وغير نظامية هائلة، وعمد الى اطلاق سراح جميع السجناء والمجرمين شرط ان يشاركوا في عملية التحرير!

كانت أوامر صدام تقضي بتحقيق التحرير حتى لو وصلت الخسائر الى ٨٠ في المائة!!

واحتدم النقاش في غرفة العمليات، شارك فيه:

ماهر عبدالرشيد، قائد القوة الجوية، قائد قوات الحرس الجمهوري.. وعدنان خيرالله وعدي وقصي ابناء صدام..

قال صدام: نحرر الفاو ولو خسرنا ٨٠ في المائة..

رد عدنان:

ـ حتى ولو خسرنا ١٠٠ في المائة فلن نستطيع تحرير الفاو في هذا الوقت.. فلننتظر قليلاً الى ان يحين الوقت ونخطط للمعركة لاختزال نسبة الخسائر..

غضب صدام، وتشبث برأيه.

ودارت معركة زج فيها صدام ٤٠٠ من عناصر حمايته قتل أغلبهم، بينما قتل آخر بالسلاح الكيمياوي، لأن الرياح هبت في الأتجاه المعاكس نحو القوات العراقية.. واتسعت شقة الخلاف بين صدام وعدنان!

مجزرة ١٩٨٧

وفي احدى زيارات عدنان الى قاطع المنطقة الشمالية تم اعدام ٤٠٠ ضابط وجندي!

تم ذلك عام ١٩٨٧.

حدثني المقدم طيار سمير الشيخلي الذي كان طياراً خاصاً لعدنان انه أصبح منذ فترة

يخاف على عدنان من غضب الرئيس صدام.

وقد اكتشف عدنان انه سيتم اعدام ٤٠٠ شخص من أفراد الفيلق الأول بالرصاص. فسأل قائد اللواء عن الذنب الذي اقترفوه، فأجابه قائد الفيلق نزار الخزرجي:

- سيدي لقد هربوا من الخطوط الخلفية اثناء الهجوم الايراني فكانت اجابة وزير الدفاع ان قتلهم خطأ وفيه اضعاف للقوات العراقية وتم تنفيذ الاعدام بـ ٤٠٠ ضابط وجندي في مجزرة بشعة.

جريمة عدي

ومن الخلافات المهمة التي حدثت بين صدام وعدنان قضية اقتران صدام بالسيدة سميرة الشابندر فقد عدّ هذه الزيجة بمثابة اهانة لأخته وللأسرة، غير انه وفي نفس الوقت كان ضد عملية قتل كامل حنا والتي تمت على يد عدي في جزيرة (أم الخنازير).

كان كامل هو المسؤول عن الصلات السرية النسائية لصدام وقد تولى عدي قتل كامل بمسدسه الشخصي وامام شهود معروفين، فطالب عدنان بمعاقبة عدي على جريمة القتل هذه!

النهاية

في ١٩٨٩ اتصلت شخصياً بصديقي الطيار الخاص لعدنان خيرالله للاتفاق معه على موعد في العيد فأخبرني بأنه سيذهب مع وزير الدفاع في واجب الى شمال القطر ووعدني باللقاء عند العودة لتمضية فترة عيد الفطر المبارك في بغداد، فأبلغته أنا أيضاً بأنني سأذهب مع الرئيس صدام الى الشمال.. غادرنا جميعاً مطار المثنى في ٣ أيار / مايو باتجاه الموصل ومن هناك الى سرسنك والعمادية حيث التقى عدنان بصدام وتولى عدنان قيادة السيارة التي كان يستقلها الرئيس مع الأسرة.

كان معنا حسين كامل فشعرنا بأن هناك شيئاً في الأفق نتيجة نظرات صدام الى عدنان.

ولقد أخبرني الشيخلي (الطيار الخاص بعدنان) ان الوزير كان متردداً في قرار السفر، فوضع رجلاً على سلم الطائرة ورجلاً على الأرض وبقي على ذلك الوضع عشر دقائق تقريباً دون ان يتكلم.

وصدق احساس عدنان فقد وضعت قنبلة موقوتة في طائرته بلغت زنتها كيلو غراماً من مادة تي. ان. تي (T.N.T) في شكل أربعة عقود ومن صنع مصانع حسين كامل!

كان طول كل عقد ٢٥ سم وقطره ٣ سم وتم وضعها تحت المقعد الخلفي باشراف حسين كامل الذي حدد وقت الأنفجار.

لقد قام عدنان بقيادة الطائرة، وليس طياره الخاص كما ورد في الأخبار وحسب تسجيل ادارة الأنواء الجوية:

كان الطقس جيداً جداً وكذلك الرؤية، بينما الرياح خفيفة فمتوسطة السرعة..

وقد سجلت آخر مكالمة مع عدنان الذي كان يقود الطائرة مع برج قاعدة القيادة وهي مكالمة طبيعية.

وعندما أقلعت الطائرة في تمام الثانية وأربع وأربعين دقيقة بعد الظهر متجهة الى بغداد عن طريق الموصل. وفي الرابعة كانت في أجواء منطقة مخمور بين تكريت وأربيل في الصحراء حيث انفجرت القنبلة ليسقط عدنان شهيداً هو ومن معه..

أما من سلم من الحادثة وأصيب بجروح فتم نقله الى المستشفى حيث جرى التخلص منه بواسطة حقنة سامة من صنع روسي..

الأسباب المباشرة:

ثمة سببان مباشران للأسراع في تصفية عدنان بهذا الشكل المأساوي:

أولهما سياسي!

وخلاصته انه قبيل فترة وجيزة من تنفيذ حادث الطائرة ألقت مخابرات النظام القبض على مجموعة من العسكريين والمدنيين بتهمة الاعداد لمحاولة انقلابية وبعد ان عذب هؤلاء تعذيباً شديداً في أقبية المخابرات ورد ذكر مدير المكتب الخاص لعدنان وهو من (سامراء)، وبعد ان جاء دور هذا للتعذيب:

اعترف بأنه في حالة نجاح الانقلاب فإن المرشح للرئاسة (أي البديل لصدام) هو:

عدنان خيرالله!

وثانيهما اقتصادي :

فقد كان عدنان خيرالله واحداً من ثلاثة لهم حق سحب مبالغ طائلة من الرصيد السري الذي أودعه صدام في أحد بنوك سويسرا والذي يقوم على اقتطاع ٥ في المائة من عائدات البترول العراقي اعتباراً من أواسط السبعينات . .

كان صدام قد أعدم عدنان الحمداني، وهو واحد من الذين يحق لهم سحب الرصيد عام ١٩٧٩ !

وعندما صاهر حسين كامل منحه حق سحب وايداع المبالغ من الرصيد نفسه..

وقد اعترض عدنان خيرالله على اشراك حسين كامل في الأرصدة السرية، كما اعترض على قيام حسين كامل بانتزاع عمولات من صفقات الأسلحة وايداعها في الرصيد السري!

صدام يشرب حليب الناقة ويحرم العراقي من أبسط مقومات الحياة!!

مؤسسة وطائرات وسيارات لا بل (صدام) والهدف

حليب الناقة الذي يحلم صدام ان يطيل عمره!!

كنت أزور صديقاً لي يعمل مهندساً في موقع عمل تابع لاحدى الوزارات في منطقة الكرمة التي تقع قرب مدينة الفلوجة، وفجأة دخل ضابط المرور وأمر صديقي المهندس قائلاً :

ـ أوقفوا جميع الآليات !!

أبدى المهندس انزعاجه وسأله :

ـ ومن أنت؟ ولماذا نوقف الآليات، وكل ساعة تكلفنا مبالغ باهظة في العمل الذي نقوم به لخدمة الوطن؟

أجاب ضابط الشرطة :

ـ هذه أوامر (السيد الرئيس) . . . ولا يجوز مناقشتها . .

استسلم صديقي لهذه اللهجة الآمرة، وأصدر أوامره بايقاف جميع الآليات، رغم علمه بالخسارة الفادحة التي يتحملها توقف العمل . .

خرجنا لنستطلع الضجة التي غمرت المنطقة، وفوجئنا بمنظر طريف!

ـ عشرات الأبل احتلت الشارع العام!

كانت قطعان الأبل تسير ويقودها شباب، وتحوطها سيارات مرور من جانبي الطريق!

ولم تمر سوى دقائق حتى مرت طائرات هليوكابتر ـ مروحية! كانت الطائرات ترافق قطيع الأبل هذا!!!

سألت أحد مرافقي الأبل، وهو من ابناء مدينتي :

ـ ما حكاية هذه الأبل ؟

ـ همس في أذني : انها الأبل الخاصة بـ(صدام حسين)!!

وعندما لاحظ دهشتي، جذبني الى زاوية وواصل حديثه قائلاً :

ـ لقد استولى صدام على أحسن الأبل في العراق والمنطقة، وخصص لها مزارع، وتديرها مؤسسة خاصة،

قلت له : وما هذه السيارات التي ترافقها؟

ـ قال : هذه السيارات تحمي الأبل فهي ترافقها في كل مكان . . وعندما تسير تتوزع قافلة السيارات الى عدة أقسام : في الخلف وفي الامام . . ألخ .

قلت له : وأين كنتم؟

قال : هذه القطعان جاءت من منطقة (الثرثار) عبر الطريق المبلّط . .

قلت : والى أين تتجهون؟

قال : نحن نتجه الى الطريق الرئيسي الذي يؤدي الى بغداد ويربط الأردن بالعراق .

قلت له : ولماذا طلبتم ايقاف الآليات في الشركة؟

المكائن تزعج الأبل

قال : الأبل تنزعج من أصوات بعض المكائن والآليات! .

قلت : وما هي الفائدة المرجوة من هذه الأبل؟

قال : الحليب . . الحليب !!

فهمت المقصود، غير انني أحببت مداعبة صديقي، فقلت له :

ـ أعرف ان اقتصاد العراق يقوم على تصدير النفط، فهل يقوم بتصدير (حليب النوق) أيضاً؟ إذا فعل هذا يعني انه مورد اقتصادي مهم؟

نظر إليّ نظرة ذات معنى وقال : أي اقتصاد؟ وأي تصدير؟

هذا الحليب، خاص بـ صدام حسين! لقد قيل لـه ان حليب الناقـة يطيـل عمر

الانسان . . !

ومنذ ذلك الوقت وهو يقتني أفخم أنواع الأبل، لقد رصد مبالغ طائلة لتربية الأبل وتوفير أحسن الظروف لزيادة انتاج حليبها النقي، الذي يحسب انه يطيل عمره وأعمار أفراد أسرته .

سألته : والطائرات المروحية؟

أجاب : هذه الطائرات تحمي الأبل من جهة، ومن جهة أخرى قد يحتاج الى شيء من الحليب، فتحلب له الناقة في أي مكان مناسب ثم يرسل الحليب الطازج له فوراً بالطائرة الى أي مكان .

عدت الى صديقي بعد أيام فأخبرني ان خسارة اليوم الذي سماه (يوم الأبل) كانت تقدر بثلاثين ألف دينار . . هذه كلفة توقف الآليات عن عمل يوم واحد لئلا تسبب ازعاجاً لأبل صدام!

وفكرت مع نفسي : الى متى يستمر صدام حسين في البذخ وبناء القصور بينما يتعمد هو حرمان المواطن العراقي من أبسط ضرورات الحياة بحجة الحرب التي أشعلها ضد ايران .

ـ شرب حليب الناقة، الذي يكلف الخزينة العراقية مبالغ باهظة، يجسد واحدة من العقد النفسية التي يحملها صدام . .

فلقد بدأ حياته العملية بالعمل كعامل بسيط، وبأجرة يومية في أحد (كـراجات الكرخ) في بغداد وبأجرة يومية مقدارها ٣٠٠ فلساً!

وعندما تسلل الى كرسي (الرئاسة) بعد سلسلة من المجازر والمؤامرات وحمامات الـدم استثمر كـل خيـرات العـراق وكنوزه في بنـاء القصـور والقـلاع والملاجيء والجداريات وفي : شرب حليب الناقة!!



وثائق

وثيقة ١


رئاسة الجمهورية
مديرية شؤون الحرس الجمهوري الخاص
الحرس الجمهوري الخاص
الاسم الكامل : مبزهر ناجي
المهنة : عسكري
فصيلة الدم : AB+
أمر ح ج الخاص


العدد : ٤٣٥٠
التاريخ : ١٩٩٠/٣/٢٠

وثيقة ٢



ديوان رئاسة الجمهورية

(سرى للغاية)

العدد : ٦٣١/س
التاريخ : ٢٨ / ١٩٨٩/٤

الى / مديرية المخابرات العامة

يرجى تزويدنا بتقرير مفصل عن نتائج زيارة الوفد الاسرائيلي الى القطر وبالسرعة الممكنة .

مدير امن الرئاسة
ربيح الكاوري

نسخة منه :

مكتب السيد رئيس الديوان
مكتب السيد مدير جهاز الامن الخاص
ملفة الكتب السرية

وثيقة ٣



ديوان رئاسة الجمهورية

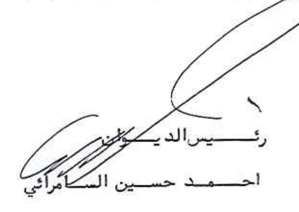
بسم اللـه الرحمن الرحيم

سري للغاية

العدد / ٦٥٢/د ٧
التاريخ / ١٩٨٩/٤/١٦

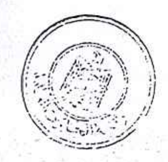
الى / مديرية جهاز الامن الخاص
مكتب شؤون الحرس الجمهوري الخاص

تقرر تنسيب الملازم اول مزهر ناجي المنسوب الى مديريتكم الفوج الاول (حرس خاص) الى مديرية المخابرات العامة لمرافقة احد الوفود الاجنبية التي تزور القطر ولمدة اسبوع اعتبارا من تاريخ صدور الامر اعلاه .



رئيس الديوان
احمد حسين السامرائي

وثيقة ٤

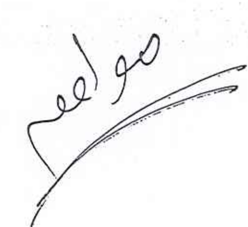


السيد مدير الشعبة المحترم.

مذكرة داخلية

يرجى التفضل بالموافقة على وضع جميع قياديي وزارة الدفاع والقيادة القطرية والوزراء تحت المراقبة المكثفة ليتسنى لنا بعدها وضع خطة محكمة لمعرفة أطراف العمالة الروسية.

ولكم جزيل الشكر والاحترام



النقيب

سـري للغـايـة

العـدد : ١١/سا
التأريـخ : ١٢/٤/٩٦٩

الى / كافـة مـراكـز الاستخبارات العسـكرية
فـي القطـر

الموضـوع/ مـراقبة الاشخاص المرفقة اسمائهم

تقرر مـراقبـة نشـاط الزمـرة العامـلة للماسـونيـة فـي القطر
ورصـد جميع العناصر الاخرى واعلامنـا بالسـرعة

المرفقات

الاسماء

ع/ المديـر
النقيب احمـد

وثيقة ٥

(١)

((من أسرار المخابرات العراقية))

من المعروف عن عبد الحميد ذياب الخزبط . أنه ينتمي الى الجمعية الماسونية في العراق . داخل الحلقة التي تضم كل من صدام حسين سعدون شاكر - حسن علي العامري - طارق عزيز . سعيد عبد الوهاب لطيف نصيف جاسم - ناظم كزار - الدكتور صادق علوش - مزبان خضر هادي الدكتور سعدون حمادي - الدكتور عبد الرزاق الهاشمي - وذلك في أوائل الستينات .



رئاسة المخابرات العامة

الاسم الكامل : مزهر ناجي
المهنـــة : ضابط مخابرات
فصيلة الدم : AB +
العـدد : ٨٧٦٢
التاريخ : ١٩٧٦/٨/٢٥

صور



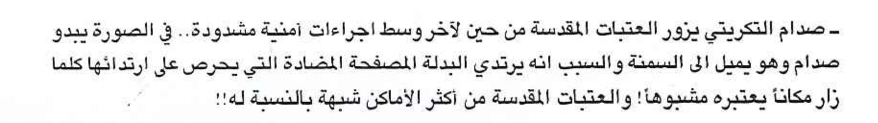


ـ طارق حمد العبدالله ضابط كان المرافق الشخصي لأحمد حسن البكر.. طارق وافق ان يعمل لصالح صدام حسين كعين وجاسوس ضد سيده البكر.. الصورة تجمع بين صدام حسين والعبدالله في بداية استيلاء صدام على الكرسي الرئاسي وتبدو في الصورة صحفية أجنبية جاءت للتهنئة.



ـ صدام التكريتي يقسم على المصحف بالعمل على خدمة العراق والعراقيين وغير ذلك مما حقق عكسه بالضبط! في الصورة يبدو نائبه عزت وأمين سره: طارق حمد العبدالله الذي تجسس له ضد البكروكان ان صفاه في وقت لاحق!! الصورة التقطت عام ١٩٧٩ اثر استيلاء صدام على (رئاسة الجمهورية)



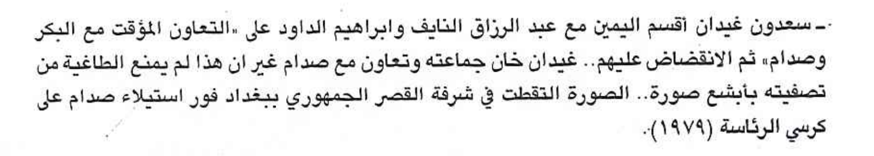


- صدام التكريتي يزور العتبات المقدسة من حين لآخر وسط اجراءات أمنية مشدودة.. في الصورة يبدو صدام وهو يميل الى السمنة والسبب انه يرتدي البدلة المصفحة المضادة التي يحرص على ارتدائها كلما زار مكاناً يعتبره مشبوهاً! والعتبات المقدسة من أكثر الأماكن شبهة بالنسبة له!!



- صدام حسين وسط حشد من القادمين لتهنئته بأحد الأعياد، في بداية أبعاده البكر وتوليـه شؤون العراق يبدو معه نائبه عزت وطارق العبدالله أمين سره الذي كافأه بوزارة ثم صفاه بطريقة خسسية في وقت لاحق!.





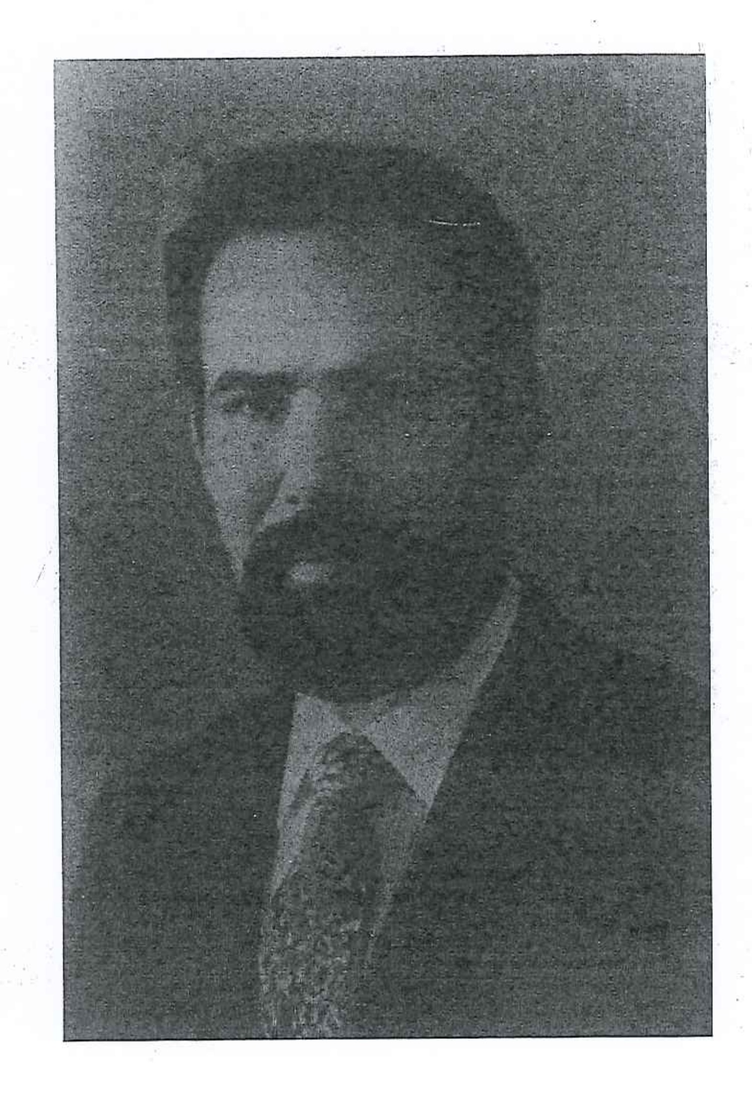
- سعدون غيدان أقسم اليمين مع عبد الرزاق النايف وابراهيم الداود على «التعاون المؤقت مع البكر وصدام» ثم الانقضاض عليهم.. غيدان خان جماعته وتعاون مع صدام غير ان هذا لم يمنع الطاغية من تصفيته بأبشع صورة.. الصورة التقطت في شرفة القصر الجمهوري ببغداد فور استيلاء صدام على كرسي الرئاسة (١٩٧٩).



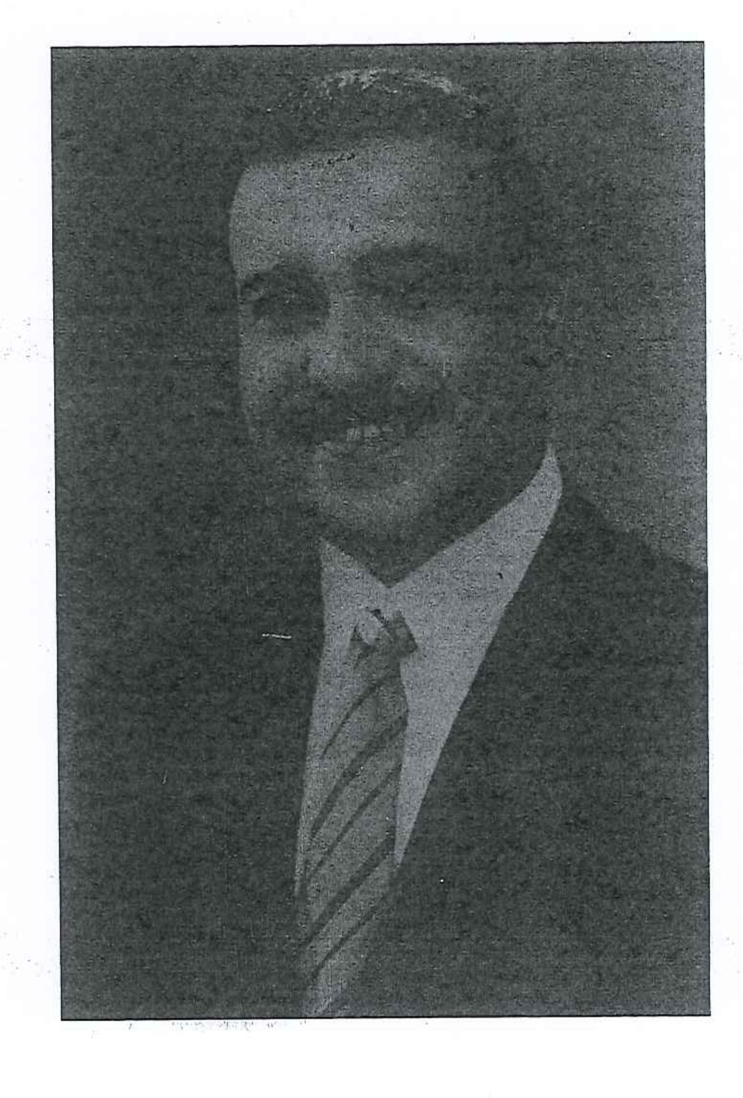
- يخت الطاغية صدام متوقف في أحد الموانىء الأوروبية في طريقه الى العراق.. اليخت واحد من مجموعة يخوت يشتمل على أشياء لا تخطر على البال بينها حنفيات ومغاسل من ذهب حقيقي وغير ذلك من الأشياء الباذخة التي كلفت الملايين من العملات الصعبة في حين يعيش ابناء الشعب العراقي في حالة مزرية تحت الحد الأدنى من الفقر الحقيقي.



- المؤلف في الزي العسكري في محافظة أربيل شمال العراقي عام ١٩٨٣



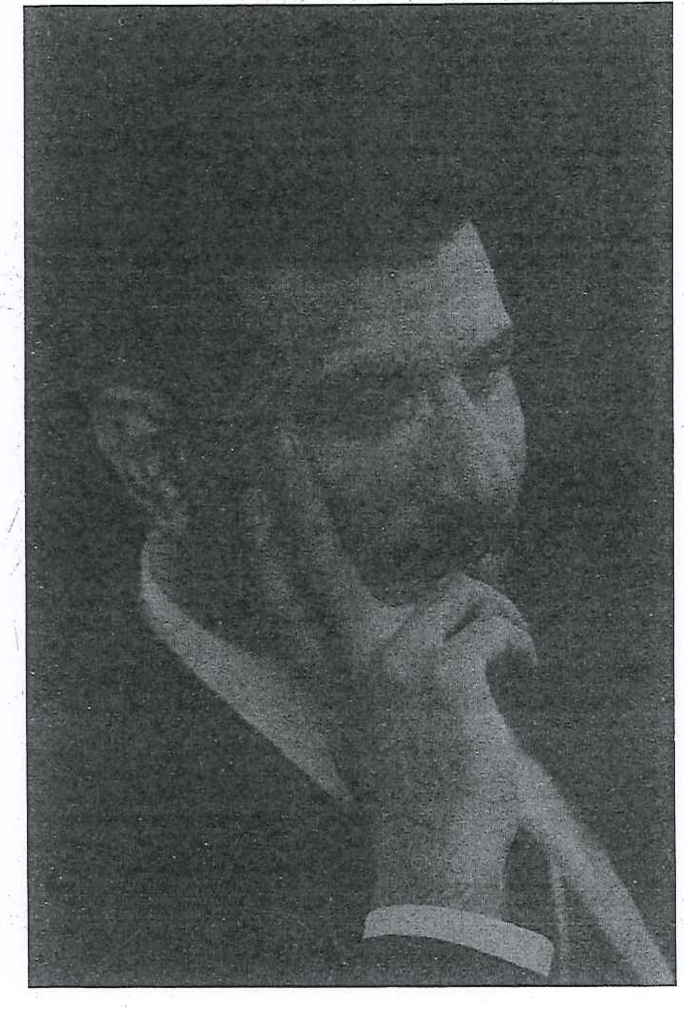
- برزان التكريتي الأخ نصف الشقيق لصدام رأس جهاز مخابرات النظام نحو خمس سنوات صفى خلالها الألوف ووسع الجهاز وفي عهده تم انشاء شعبة النساء التي لعبت دوراً في الأفساد والتحلل وبث الرعب في صفوف العراقيين.



- عبدالرحمن الدوري تولى شؤون الأمن العامة فنفذ مخططات صدام في تعذيب وتصفية الألوف من الأبرياء ثم كافأه صدام بتعيينه عضواً فيما يدعى بالقيادة القطرية للحزب الحاكم.



- سعدون شاكر من اقدم العاملين في جهاز حُنين الذي مهّد لانقلاب تموز/ يوليو ١٩٦٨.. رأس جهاز مخابرات النظام ونفذ مخططات صدام القمعية.. وأشرف شخصياً على تنفيذ تصفية عدد من خصوم صدام وأبرزهم عبد الرزاق النايف وغيرها.. الصورة التقطت في عام ١٩٨٨ أثر منح سعدون «وسام الرافدين» تقديراً لمساهماته في القمع والرعب..!





ـ فاضل البراك من اقرباء صدام تتلمذ على يد خبراء الكي.جي.بي ورأس جهاز مخابرات النظام عدة سنوات فتولى تنفيذ أكبر حملة لتهجير الألوف من العراقيين بحجة أن أصولهم ايرانية وفي عهده صفى المئات من المعارضين ولكن كل هذا لم يمنع صدام من الشك في ولائه.. الصورة التقطت عام ١٩٩٠ ترى هل كان يفكر بمصيره المجهول ـ المعروف؟



ـ المؤلف في لقطة تذكارية مع مجموعة من أفراد الجيش عام ١٩٨٣ في محافظة أربيل شمال العراق.



ـ المؤلف مع مسؤول الاستخبارات العسكري السابق في السفارة العراقية بباريس المقدم كمال العاني عام ١٩٨١.



ـ سعدون غيدان الى جانب صدام في جلسة انسجام.. لكن هذا الانسجام كان ظاهرياً إذ ظل اسم سعدون على لائحة التصفيات حتى تمت تصفيته بطريقة غريبة!



ـ عدنان خيرالله ابن خال صدام وصهره، علم صدام مبادىء القراءة والكتابة قبل دخول المدرسة وتربى صدام في داره غير ان كل هذا وغيره لم يمنع صدام من تصفيته بحادث الطائرة الشهير الذي نفذه حسين كامل الصهر المدلل للدكتاتور.

فهرس الكتاب

كلمة ختام

ليس هذا - عزيزي القارئ - هو كل ما أعرف عن مخابرات النظام العراقي! فالسنوات الثمان التي أمضيتها من شبابي في هذا الجهاز المرعب كانت طويلة.. (محطة الموت) جزء مما اسعفتني به الذاكرة الآن سردته في هذا الكتاب.. ولي موعد آخر مع الحقيقة والتاريخ.. إن شاء الله.

المؤلف

دار الأنبار - باريس

الطبعة الأولى
١٤١٣ هـ - ١٩٩٣ م

Imprimé en France par I.R.S.A.
Numéro ISBN en cours